مجلة إسلامية . ثقافية . شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

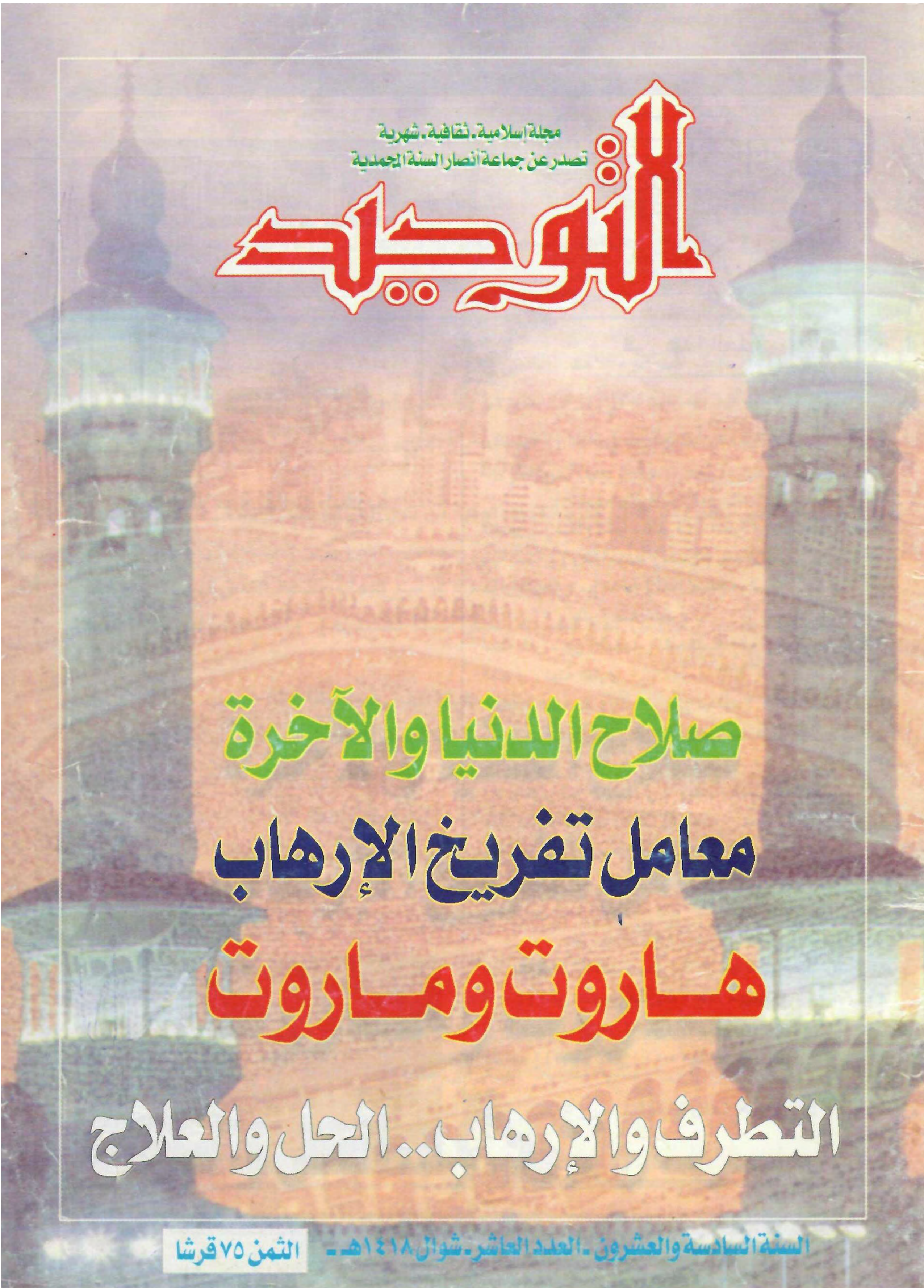

صلاح الدنيا والآخرة

معامل تفريخ الإرهاب

هاروت وماروت

التطرف والإرهاب.. الحل والعلاج

السنة السادسة والعشرون - العدد العاشر - شوال ١٤١٨هـ -
الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

التحرير

٨ شارع قوله

عابدين - القاهرة

☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات :

☎ : ٣٩١٥٤٥٦

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم - مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين) . ٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلهما .

ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب بريد عابدين أو بنك فيصل الإسلامي المصري - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩٥٩٠) .

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام

القاهرة ٨ شارع قوله عابدين

هاتف ٣٩١٥٥٧٦ ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية : (استانبول بين العلمانية والعربية) : الرئيس العام ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير :
(التطرف والإرهاب : الحل والعلاج) ٤
التفسير : (صلاح الدنيا والآخرة) : الشيخ / عبد العظيم بدوي ٨
باب السنة : (وصل ما بعد رمضان) بقلم الرئيس العام ١٢
حوار التوحيد : مع الشيخ / أحمد صالح محايري :
بقلم / جمال سعد حاتم ٢٢
أسئلة القراء عن الأحاديث : بقلم الشيخ / أبو إسحاق الحويني ٢٢
الفتاوى : لجنة الفتوى ٢٦
الاقتصاد الإسلامي : بقلم د / على السالوس ٣٠
باب السيرة : يوسف ، عليه السلام في بيت عزيز مصر
بقلم الشيخ عبد الرازق السيد عيد ٣٤
(لا يا مفتي اللواء الإسلامي !!) بقلم / السيد محمد مزيد ٣٧
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة : أ / محمود المراكبي ٣٨
معامل تفريخ الإرهاب : بقلم الشيخ / مصطفى درويش ٤٢
سوء الخلق : بقلم / عبد الغني فتح اللّه ٤٦
نحو توثيق السيرة المباركة :
بقلم الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي ٥٠
من روائع الماضي (الحب الصادق) الشيخ/ عبد الحميد محمد عرنسة ٥٤
قصيدة : (أين أنت من الشريعة) بقلم/ مجدي محمد الصاوي ٥٧
وسائل وقاية الإنسان من الذنوب والآثام : بقلم / عصام عبد ربه ٥٨
التراجم : (الإمام الأكبر / محمد مصطفى المراغي) ٦٢

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

اقرأ في العدد القادم

(إن شاء الله) :

- **جمع القرآن** : الرئيس العام
- **الأمر بأداء الأمانة** : الشيخ / عبد العظيم بدوي
- **رسالة إلى حركات التبشير العالمية** : الشيخ / مصطفى درويش

مع القـراء

العيد في بيوت الملوك

كان المعتمد بن عياد ملك الأندلس ، ثم دار عليه الزمان حتى مات (٤٨٨ هـ) سجينًا مقيدًا معذبًا !!

وقد دخل عليه يومـًا بناتـه السجن ، وكـان يوم العيد ، وكنَّ يغزلن للناس بالأجرة في أغمات (مدينة بالمغرب) حتى أن واحدة منهن غزلت لأهل رئيس الشرطة الذي كان في خدمة أبيها ، وهو في سلطانه ، فرآهن الأب يوم العيد في ملابس رثة ، وحالة سيئة من الفقر ، فصد عن قلبه !! وأنشد يقول :

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورًا   فساءك العيد في أغمات مأسورًا
ترى بناتك في الأطمار جائعـة   يغزلن للناس لا يملكن قطميرًا
من بات بعدك في ملك يسر بـه   فإنما بات بالأحلام مغـرورًا

إن في ذلك لعبرة لمن يخشى !!

رئيس التحرير

- التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .

- التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة.

ثمن النسخة : السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس - المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١.٥٠ جنيه مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشًا - عمان نصف ريال عماني .

استانبول بين العلمانية والعربية

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد لله واسع الفضل ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ويحيي الأرض بعد موتها ، أحيا الأرض بمطر السماء ، وأحيا البشر بوحي الأنبياء ، فكان المثل كما جاء في حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

هذا ولقد مررت في أحد مطارات أمريكا ، فجلسنا ننتظر صاحبًا لنا يأتي بالسيارة ينقلنا إلى المسجد الذي نذهب إليه ، فرأيت شابين من (الأمريكان السود) ، وبيد أحدهما مصحف ، فألقيت السلام عليه ، فرد هاشًا ، فلما كلمه صاحبي ظهر أنه لم يُسلم بعد ، وأن رفيقه رآه يستمع إلى الموسيقى ، فأعطاه هذا المصحف يقرأ فيه ، فترك الموسيقى وانهمك في القراءة ، فرأينا مجالاً مناسبًا لبيان عقيدة الإسلام ، فلما دعوناه للشهادة لم يتأخر ، فإذا بالآخر يأتي مسرعًا يعانقنا هو وصاحبه ، ثم خرجنا إلى سيارتنا ، كان ذلك في دقائق ، وأنا أحدث أصحابي عن المخاوف على المسلمين وأبناءهم في هذه البلاد يدخل الكفر عليهم من كل مكان ، فهل يدخل هذا الذي نطق بالشهادتين الإسلام ؟ وكيف يثبت عليه ؟ وكلام العلماء في روجيه جارودي ليس ببعيد ، فكثير من الناس يغترون بحديثي العهد بالإسلام ، فهم في حاجة إلى استمرار رعاية ودوام عناية ، وتعليم سلوك وتربية .

وبينما كنت في طريق عودتي إلى مصر مررت على (استانبول) ، هكذا يكتبونها بالحروف اللاتينية ، بعد أن غير أتاتورك لهم حروف لغتهم من العربية إلى اللاتينية - استخف قومه فأطاعوه - فبدل لهم الحروف العربية ، مع أنه أبقى لغتهم التركية ، إلا أنه عزلهم بذلك عن كل مظاهر الإسلام ، فأصبحت ترى رجالهم ونساءهم بينهم وبين الإسلام - خلقًا وسلوكًا - بون شاسع ، ولقد لقينا في الساعات الطويلة التي أمضيناها في المطار مهانة وسوءً لم نعهد مثله ، فضلاً عن فقدان المسجد والإرشاد إلى الصلاة ، وكل مظاهر الصيام غير ظاهرة - حيث كنا في رمضان - وسوقهم الحرة في المطار تكاد تطبق على بيع الخمور وأدوات السفور .

هون علينا الساعات الطويلة أن التقينا مع جماعة من المسافرين القادمين من أوزباكستان ، تلك البلاد التي خرجت للإسلام بعد أن تفجر الاتحاد السوفيتي من داخله ، فإذا بهم مجموعة رجال قدموا للعمرة ونزلوا وهم في طريقهم إلى جدة ، ومعهم نساءهم اللاتي قد تلفعن في ثيابهن فلا يبدوا منهن عين ولا ظفر ، فيسر الله عز وجل بهم قطع ذلك الوقت الطويل ، حيث قضينا ليلة طويلة من ليالي رمضان فتعرفت عليهم ، حيث أنهم يعتنون بتحفيظ القرآن للأبناء والنساء ، وقال لي شيخهم : أنتم أهل مصر لا تعتنون في بيوتكم بتعليم الأولاد النحو والصرف !! نعم هكذا قالها : النحو والصرف ، فصرت أنظر إلى اللافتات التركية مكتوبة بالحروف اللاتينية ، وإن كانت بعض الكلمات تراها عربية النطق ، وإن كان التحريف قد أخرجها عن صلتها بالعربية ، والمتدبر يرى الحروف العربية أكثر الحروف وفاءً بالنطق بأقصر طريق ؛ لذا فإنك ترى بلاد الغرب يشتهر عندهم الاختصار باستخدام الحروف الأولى من الكلمات ، وليس المجال لنقد الحروف اللاتينية ، وبيان ميزات الحروف العربية ، ولكن العرب لا يجيدون عرض قضاياهم وبيان الكنوز التي عندهم حتى ترى الأجيال المعاصرة منهم تلهث وراء أهل الكفر ، يظنون ما هم فيه سعادة وتقدم ، والله سبحانه يقول : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ [النور : ٣٩] .

فرأيت أن الله امتن على أقوام في وسط الشيوعية فحافظوا على إسلامهم ، ويعيبون على العرب المسلمين أنهم لا يتعلمون النحو والصرف !!

فكأن المظهر الذي رأيته في مطار تركيا لا يعبر عن حقيقة الناس في البلاد ، فلا بد من أناس يحتفظون بدينهم ويحافظون على أبناءهم ، حتى إذا أزال الله الغمة عاد القوم إلى إسلامهم يظهرون به .

لذا فإن واجب الدعاة أن يجتهدوا ، فيعلموا الناس دين الإسلام ولغة القرآن الكريم ، لا يصرفهم عن ذلك تشويش المشوشين ، ولا إغراء غير الواعين ؛ لذا فإن المساجد والقائمين عليها ينبغي أن يعتنوا بتعليم القرآن الكريم ولغته في المساجد والبيوت ، ويفهموا أن هذه مهمة الوالدين التي لا تسقط عن كاهلهم .

فالحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلا يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهودانه ، أو يُنصرانه ، أو يُمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ثم يقول أبو هريرة ، رضي الله عنه : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [الروم : ٣٠] .

فالدواء إذًا إحياء دور الدعاة اجتهادًا في تعليم الشرع الذي أنزله رب العالمين يعرفون الناس جميعًا أركان الإسلام الخمسة ليعملوا بها ، وأركان الإيمان الستة ليعتقدوها ، ويعلمونهم القرآن الكريم ولغته (النحو والصرف) .

والله من وراء القصد .

كلمة التحرير

التطرف والإرهاب :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد :

فقد تحدثنا في العدد الماضي (رمضان ١٤١٨ هـ) عن أهم الأسباب التي أثمرت فكر الإرهاب ، ونحن على موعد مع قرائنا في عددنا هذا لكي نقدم منهجًا عمليًا فيه الدواء والشفاء لما يعانيه بعض شبابنا من غلو وتطرف وانحراف عن منهج الحق والصواب .

ولا بد قبل الشروع في بيان الحل والعلاج أن نقرر حقيقة هامة هي أن التطرف يحتاج إلى مواجهة علمية لا مواجهة عنترية !! وأنه بدون تصحيح الأوضاع الخاطئة ومواطن الخلل في واقعنا الذي نعيشه فلن نصل إلى حل صحيح أو علاج نافع !!

ونحن لا ندعي العصمة لقولنا أو قول غيرنا ؛ لكننا نعتقد أن قولنا صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب .

وأما المخرج مما نحن فيه ، والعلاج لما نعانيه فيتمثل فيما يلي :

١ – تحكيم الشريعة والالتفاف حول القيادة :

حيث إن العلاقة الشرعية بين الراعي والرعية تقوم على المحبة ، والنصيحة والسمع والطاعة في غير معصية ، والدعاء لولي الأمر ، فإذا ما أعلنت مصر عن تطبيقها لشريعة الله ، وتقديمها على سائر القوانين الأرضية انهار بنيان التطرف والإرهاب بفضل الله ، وسقطت الأقنعة عن وجوه المنافقين الذين يريدون بمصر شرًا ، وفي ظل تحكيم الشريعة نستطيع أن نميز بوضوح من معنا ومن علينا !!

٢ – التقارب بين العلماء والوزراء :

لأن اختفاء العلماء أو اختلافهم علنًا مع الوزراء يحدث مردودًا سلبيًا لدى الرأي العام ، ويمكن أن يتحقق هذا التقارب المنشود بوسائل منها :

الحـــل والعـــلاج

فضيلة الشيخ / صفوت الشوادفي

✱ عودة هيئة كبار العلماء في مصر بصورة عصرية ، بحيث يكون فيها الفقيه وعالم الاقتصاد وخبير الطب ، وهكذا .

✱ انتداب مستشار ديني لكل وزير ومحافظ يُرجع إليه في كافة المسائل التي تحتاج إلى معرفة حكم الشريعة .

٣- إعادة الثقة المفقودة بين المواطن والحكومة :

وهذا أمر على قدر عظيم من الأهمية ، وسيأتي تفصيله ضمن مقترحات آتية .

٤- إنشاء قناة تلفزيونية للقرآن الكريم :

تصحح المفاهيم الخاطئة ، وتنقل الحوارات الهادفة ، والمناظرات الجادة ، وتوقف الصراعات القائمة في كثير من البيوت حول حكم التلفزيون في الشريعة الإسلامية ، وينتج عنها في أحايين كثيرة طرد الابن المعترض من البيت ، وهي ظاهرة اجتماعية خطيرة ، ووثيقة الصلة بموضوع التطرف .

٥- مواجهة المشكلات الاقتصادية ، وما يتبعها من أزمات تضر بآمال الشباب ، مثل أزمة الإسكان وأزمة العمل(١) .

٦- علاج الخلل الإداري في بعض أجهزة الدولة الذي يعوق وصول الخدمات لطالبيها .

٧- الوضوح السياسي حتى ينشأ الشباب على بينة من أمر بلاده داخليًا وخارجيًا ، وبما لا يضر بمصالح وأمن البلاد ، وحتى لا يقع تحت مؤثرات خارجية وأخبار غير صحيحة تذيعها المصادر التي تعمل على عدم الاستقرار في مصر .

ولا بد أن تأخذ الأحزاب السياسية دورها وتعدل ممارستها ، فلا يكون هدفها الاقتتال وإظهار المثالب ، واستخدام الكلمات الجارحة الحادة التي

> "" لا بد أن تأخذ الأحزاب السياسية دورها وتعدل ممارستها ، فلا يكون هدفها الاقتتال وإظهار المثالب ، واستخدام الكلمات الخارجة الحادة التي تثير ولا تنير . ""

تثير ولا تنير ، وإنما عليها أن تعاون على الإيضاح وحسن الممارسة ، وصدق المصارحة ، ولا بد لوسائل الإعلام المتنوعة أن تباشر حوارًا حول التطرف وأبعاده وأسبابه المختلفة وبين كافة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مبصرًا بالمخاطر الحقيقية التي يمثلها التطرف والعنف والإرهاب ، بغض النظر عن الثوب الذي يرتديه ، وهل هو محلي أو وافد أو موفد ، وأن تكف وسائل الإعلام عن إشاعة الفرقة والتنابز بالألقاب والأحقاد ، فإن الشباب غض القلب والإهاب ، يتأثر بما يقرأ ويسمع من تقاذف بالتهم وطعن في الذمم .

وأن تكف وسائل الإعلام عن تقديم ما يضر بالمجتمع دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا وسياسيًا ، وأن تكون الكلمة مثمرة لا مدمرة ، فلا يحق لوسيلة إعلامية أن تطعن المجتمع في دينه أو تقوم بتجريح المجتمع ونشر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وازدراء المتدينين والعلماء ، وقلب الحقائق وتزييف التاريخ .

ولا بد للأجهزة الثقافية من مواجهة واقعها الذي لا يتفق مع المأمول منها للمجتمع .

٨- تطهير المجتمع ممن احترفوا الموبقات والمنكرات والرذائل ، فأشاعوا الفساد .

والعمل على إذاعة الفضيلة ورعاية الآداب العامة في المجتمع ، وحجب تلك الموضوعات المثيرة للغرائز والاختلاف .

وهذا يكون بتخصيص حيز يومي في الصحف تعالج فيه موضوعات تواجه ما يظهر من انحراف في السلوك والأخلاق ، نظرًا لقلة الصحف والمجلات المتخصصة .

٩- مواجهة التيارات الخارجية التي تبث العنف وتعمل على إثارة القلاقل بكشف مصادرها ومقاصدها .

ذلك أن شواهد كثيرة قائمة تؤيد أن تيارات خارجية تسعى لإحداث الاضطرابات وإثارة العنف في مصر ، وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن في إسرائيل مركزي قيادة عالمية لطائفتي الأحمدية القاديانية والبهائية في حيفا وفي عكا ، وهاتان حركتان قامتا في الأصل بتأييد الإمبريالية العالمية موجهتين ضد الإسلام أصوله وفروعه وضد الأمة الإسلامية بوجه عام ، ولا تزال هاتان الطائفتان مجندتين لمهمة إحداث الفرقة بين المسلمين وإفساد عقائدهم .

> التطرف يحتاج إلى مواجهة علمية لا مواجهة عنترية !! وأنه بدون تصحيح الأوضاع الخاطئة ومواطن الخلل في واقعنا الذي نعيشه فلن نصل إلى حل صحيح أو علاج نافع !!

١٠- التمكين للقضاء ليظل حارساً للعدل ، وتنفيذ أحكامه دون تعطيل أو تأويل مع تيسير التقاضي باعتباره خدمة تؤدى من الدولة لا موردًا ماليًا ، مع رفع كفاءة القضاة ومعاونيهم .

١١- الكف عن نسبة الأخطاء والحوادث والكوارث إلى المتدينين وعن السخرية بهم وبث الأمان والاطمئنان في قلوب القائمين على الدعوة وإلغاء القوانين التي أقامت القيود على كلمة المسجد ، مع تمكين الجمعيات الدينية من مزاولة أنشطتها في الدعوة في تنسيق وتوافق دون تضارب وتناقض .

١٢- توفير الرعاية للأسرة وتشجيع الأم على التفرغ لتربية أولادها تربية إسلامية .

١٣- حث الناس على الرجوع في أمور الفتوى في الدين إلى العلماء المتخصصين ، والأخذ على يد أولئك الذين يتصدون للفتوى بغير علم في الوقت الذي لا يجرءون فيه على احتراف أي علم آخر خوفًا من العقاب الذي رتبه القانون ، والحرص على تكريم العاملين في مجال العمل الإسلامي والاجتماعي الرشيد .

١٤- لا بد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته ، فإنه يلبس أثوابًا عديدة ويلبس لكل حال لبوسها .

ومرة أخرى لا نسارع إلى نسبته إلى الدين ، فنبغّض الدين إلى الناس ، ونصرفهم بهذا الترهيب عن التدين ، مع أنه في ذاته عصمة من الزلل وطاعة للّه ونزول على حكمه .

ولا بد أن نواجه التطرف الفكري بالفكر المثمر والحوار البناء الهادف إلى الإيضاح والإفصاح ، ولنقف بحزم ضد مروجي الفتن ، ولنتثبت من الأنباء والأخبار قبل الاتهام .

ذلك قول الله سبحانه في سورة الحجرات : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبينوا أن تصيبوا قومـًا بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [الحجرات : ٦] .

والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

> نطالب بعودة هيئة كبار العلماء في مصر بصورة عصرية ، بحيث يكون فيها الفقيه وعالم الاقتصاد وخبير الطب ، وأن يكون لكل وزير ومحافظ مستشار دينيا يرجع إليه في كافة المسائل التي تحتاج إلى معرفة حكم الشريعة !!

---

(١) من هنا إلى نهاية الحلول نقلاً عن رسالة التطرف - بتصرف - لفضيلة الشيخ / جاد الحق (شيخ الأزهر السابق) رحمه الله .

باب التفسير

صلاح الدنيا والآخرة

بقلم الشيخ / عبد العظيم بدوي

قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا ﴾ [النساء : ٥٩] .

عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي »(١) .

وهذه الآية الكريمة يرشدنا الله تعالى فيها إلى وسائل تحقيق صلاح الدين والدنيا والآخرة ، وما أحوجنا إليها في هذا الزمان الذي فيه : ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ [الروم : ٤١] ، وما أحوجنا إلى هذه الآية نتدبرّها ونفقهها ونعمل بها ، عسى الله أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

استفتحت الآية بالنداء على المؤمنين بلقب الإيمان : ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ تذكيرًا لهم بما يقتضيه الإيمان من السمع والطاعة وفورية الاستجابة لما يأمر الله به أو ينهى عنه ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وبعد النداء يأتي الأمر : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ، وقد تكرر هذا الأمر

في القرآن كثيرًا ، ومنه : ﴿ قل أطيعوا اللَّه وأطيعوا الرسول ﴾ [النور : ٥٤] ، ﴿ قل أطيعوا اللَّه والرسول ﴾ [آل عمران : ٣٢] ، ونحو ذلك كثيرًا ، وطاعة اللَّه ورسوله من موجبات الفلاح ، قال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور : ٥١] .

وطاعة اللَّه ورسوله من موجبات الفوز ، قال تعالى : ﴿ ومن يطع اللَّه ورسوله ويخش اللَّه ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [النور : ٥٢] .

وطاعة اللَّه ورسوله من موجبات الرحمة ، قال تعالى : ﴿ وأطيعوا اللَّه والرسول لعلكم تُرحمون ﴾ [آل عمران : ١٣٢] ، وطاعة اللَّه ورسوله من موجبات الدخول في الصالحين ، قال تعالى : ﴿ ومن يطع اللَّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وكما أمر اللَّه تعالى بطاعته وطاعة رسوله فقد حذَّر من معصيته ومعصية رسوله ، فقال تعالى : ﴿ ومن يعص اللَّه ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، وقال تعالى :

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا

﴿ ومن يعص اللَّه ورسوله ويتعدَّ حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين ﴾ [النساء : ١٤] .

وأخبر سبحانه أن العصاة سيندمون أشدَّ الندم في وقت لا ينفعهم فيه الندم ، فقال تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا ۞ يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون اللَّه حديثًا ﴾ [النساء : ٤١، ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ يوم تُقلَّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا ﴾ [الأحزاب : ٦٦] .

فعلينا أن نطيع اللَّه ورسوله ، فبهذه الطاعة يصلح اللَّه لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا .

ثم قال تعالى : ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ ؛ أي وأطيعوا أولي الأمر منكم ، وإنما لم يكرر فعل : ﴿ أطيعوا ﴾ مع أولي الأمر ، وكرره مع الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ؛ لأن الرسول يجب أن يطاع مطلقًا ؛ لأنه لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر ، لا يأمر إلا بالمعروف ، ولا ينهى إلا عن المنكر ، وأما أولو الأمر فربما أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف ، لذلك لم يكرر الفعل : ﴿ أطيعوا ﴾ مع أولي الأمر ليعلم المؤمنون أن طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة اللَّه ورسوله ، فإذا أمروا بغير ذلك فلا سمع لهم ولا طاعة .

وأولو الأمر هم الأمراء بلا خلاف ، وإنما الخلاف في العلماء هل يشملهم اللفظ أو لا ؟ والراجح أن لفظ : ﴿ أولي الأمر ﴾ يشمل الأمراء والعلماء معًا ؛ لأن الأمراء تولوا أمر الدنيا ، والعلماء تولوا أمر الدين ، وقد أمر اللَّه تعالى بطاعة العلماء في قوله : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن

كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل : ٤٣] ، فما أمر بسؤالهم إلا ليطاعوا في جوابهم ، وفي طاعة أولي الأمر صلاح الدنيا ، ومن هنا كثرت الأحاديث في الأمر بطاعتهم والنهي عن معصيتهم والخروج عليهم ، حتى يصلح الله لنا دنيانا التي فيها معاشنا .

عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة »(٢) .

والمعنى : اسمعوا وأطيعوا لمن ولي أمركم وإن لم يكن أهلاً للولاية ، فإن من شروط الإمامة أن يكون الإمام حرًا ؛ لأن العبد مملوك ، فلا يملك ، وأن يكون قرشيًا ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش »(٣) .

ومع ذلك ينصح النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بالسمع والطاعة لمن غلبها على الإمامة وليس أهلاً لها ، حقنًا للدماء ، وصيانة للأعراض ، وحتى يستقر الأمر ويستتب الأمن .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليك بالسمع والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك »(٤) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » . قالوا : يا رسول الله ، كيف تأمر من أدرك ذلك منا ؟ قال : « تؤدُّون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم »(٥) .

وعن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلُّون عليهم ويصلُّون عليكم » . والمراد بالصلاة هنا معناها اللغوي وهو الدعاء ؛ أي تدعون لهم ويدعون لكم ، « وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » . قال : قلنا : يا رسول الله ، أفلا ننابذهم – أي أفلا نخرج عليهم ونقوم بثورة ضدهم – قال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » ، أي ما داموا يبنون المساجد ويعمرونها ويسمحون لكم بإقامة دينكم وإظهار شعائركم فلا تخرجوا عليهم ، « إلا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة »(٦) .

الله أكبر ! تأمل يا أخي هذا الكلام الذي يشع منه النور والهدى والرشاد ! واعلم أن المشاكل لا تأتي إلا من الجهل بالقرآن والسنة ، ومخالفة علماء الأمة !

إذا فعل الحاكم المعصية فما واجبنا ؟ نكره ما يأتي من المعصية ، ولا ننزعن يدًا من طاعة ! فعصيانه أمر الله لا يبيح الخروج عليه ، بل ولا مجرد معصيته هو في الطاعة .

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو المسلمين إلى إجلال السلطان وإكرامه ، ويعد ذلك إجلالاً لله عز وجل ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط »(٧) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من أجلَّ السلطان أجلَّه الله يوم القيامة »(٨) .

يعني أن الذي يحترم السلطان ويقدِّره ، ويكرمه ويعززه ، يكرمه الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، وفي المقابل يقول صلى الله عليه وسلم : « من أهان السلطان أهانه الله »(٩) ؛ لأن في إهانة المسلمين سلطانهم فتح ثغرة للعدو يدخل عليهم منها ، ولا يزال ينفخ في الرماد حتى يؤجج نار الفتنة ، فتقوم الثورات التي تثير القلاقل والفوضى ، وتقضى على أمن وسلامة البلاد ، فتزهق الأرواح ، وتراق الدماء ، وتسلب الأموال ، وتنتهك الأعراض ، وتغتصب الأراضي ، وتضيع المقدسات ، وتكون فتنة يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي

كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا.

لذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة ما قاله الإمام الطحاوي - رحمه الله -: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية)(١٠).

ومتى عرف المسلمون هذا وفقهوه أصلح الله لهم دنياهم التي فيها معاشهم، ولما كان الاختلاف لا بد أن يقع بين الرعية والراعي أو بين الرعية نفسها أرشد الله تعالى إلى المبادرة بالقضاء على هذا الخلاف قبل أن يستفحل، فقال تعالى: ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ أي إلى كتاب الله وسنة رسوله حتى تعرفوا الحق فيما اختلفتم فيه فتذعنوا له وتسلموا تسليمًا، حتى تظلوا أمة واحدة كما أراد الله.

ولكن ها هنا أمر لا بد من التنبيه عليه وهو: لو أن رجلين اختلفا في أمر ما، ثم ردّاه إلى الكتاب والسنة فقد لا يتفقان إذا فسّر كل منهما النص وفق فهمه هو، ومثال على ذلك: لمس المرأة هل ينقض الوضوء أم لا؟ فمن قال: ينقض، استدل بظاهر الآية: ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [النساء: ٤٣]، ومن قال: لا ينقض، قال: اللمس الجماع، فإذا لم يكن ثم ضابط ثالث يحسم الأمر وإلا استمر الخلاف، هذا الضابط هو فهم السلف الصالح؛ لذلك لا بد أن نقول: إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وفي المثال المذكور رأينا النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبّل إحدى نسائه ولا يتوضأ(١١)، فعلمنا صحة قول من قال: إن لمس المرأة لا ينقض الوضوء.

هذا الردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله دليل الإيمان، ولذلك قال: ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾، ذلك الردّ إلى الله ورسوله الذي يقضي على الخلاف والنزاع خير لكم من الاستمرار في الخلاف والنزاع الذي يوهن قوتكم ويفرّق جمعكم، فيتسلط به عليكم عدوكم، كما قال الله تعالى: ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وهكذا جمعت هذه الآية الواحدة خيري الدنيا والآخرة، فمن تحقق بها أصلح الله له دينه الذي هو عصمة أمره، ودنياه التي فيها معاشه، وآخرته التي إليها معاده، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وصدق الرسول الكريم إذ يقول: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض»(١٢).

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) مسلم: (٢٧٧٠).
(٢) البخاري: (٧١٤٢).
(٣) صحيح الجامع: (٢٧٥٤).
(٤) مسلم: (١٨٣٦).
(٥) متفق عليه: البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣).
(٦) مسلم: (١٨٥٥).
(٧) صحيح الجامع: (٢١٩٥).
(٨) صحيح الجامع: (٥٨٢٧).
(٩) صحيح الجامع: (٥٩٨٧).
(١٠) العقيدة الطحاوية، تعليق الألباني (ص ٤٧، ٤٨).
(١١) صحيح أبي داود (١٦٤).
(١٢) صحيح الجامع (٢٩٣٤).

وصل ما بعد رمضان

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

أخرج الجماعة عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » .

يقول الترمذي : قد روي هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل الله تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر » ، وهذا أصح الروايات ، يشير بذلك إلى أن روايات الحديث جاءت على ستة أوجه ؛ أولها هذا ، وثانيها : « إذا مضى الثلث الأول » ، وثالثها : « إذا مضى الثلث الأول ، أو النصف » ، ورابعًا: « النصف » ، وخامسها : « النصف ، أو الثلث الأخير » ، وسادسها : الإطلاق ، كحديث جاء عند مسلم عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » .

قال القاضي عياض : الصحيح رواية : « حين يبقى ثلث الليل الآخر » ، كذا قال شيوخ الحديث ، وهو الذي تظاهرت عليه الأخبار بلفظه ومعناه .

وللعلماء تخريجات لطيفة في التوفيق بين سائر الألفاظ على بعض الخلاف فيها ، ولكن يكفينا هنا المتفق على صحته ، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ما اتفق علماء الحديث على صحته هو : « إذا بقي ثلث الليل الآخر » ، وأما رواية النصف والثلثين فانفرد بها مسلم في بعض طرقه ، وقال : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة كثيرة من الصحابة ، كما ذكرنا قبل هذا ، فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث .

وقد جمع العيني في « العمدة » من روى من الصحابة حديث النزول ، فبلغ عددهم بضعًا وعشرين صحابيًا هم : أبو هريرة ، وعلي بن أبي طالب ، وأبو سعيد الخدري ، ورفاعة الجهني ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وعثمان بن أبي العاص ، وجابر بن عبد الله ، وعبادة بن الصامت ، وعقبة بن عامر ، وعمرو بن عبسة ، وأبو الخطاب ، وأبو بكر الصديق ، وأنس بن مالك ، وأبو موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، وأبو

يتجه العبد إلى ربه في وقت السحر الذي تعود في رمضان أن يقوم فيه لحظ طعامه وشرابه يتقوى به على صيامه فيعتاد الدعاء والسؤال لربه

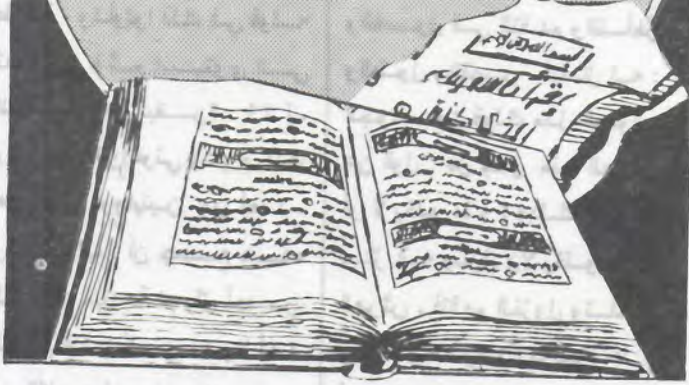

ثعلبة الخشني ، وعائشة ، وابن عباس ، ونواس بن سمعان ، وأمه سلمة ، وجد عبد الحميد بن سلمة .

ثم سرد العيني منها أحاديث اثنى عشر صحابيًا بعد حديث أبي هريرة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك يشهد لقول شيخ الإسلام : أن خبر النزول متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

مناسبة الموضوع :

هذا الحديث يصبح - إن شاء الله تعالى - بين يدي القارئ في شوال ، وقد انخلع شهر رمضان بفضائله الكثيرة وخيراته العميمة ، منها ما جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » ، فإن من جملة بركات السحور أن يستيقظ المسلم في وقت السحر ، وأن يتناول طعام السحور ، فيدعو بدعاء طيب ، كأن يقول بسبب الطعام : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ، وقنا عذاب النار » ، كما جاء في حديث ابن عمرو الذي رواه ابن السني ، فيقع ذلك الدعاء في وقت ينادي رب العزة سبحانه على عباده : « من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » ، فيطلب خير الدنيا كاملاً بقوله : « بارك لنا فيما رزقتنا » ، وخير الآخرة في الجنة يدخلها بغير سابقة عذاب بقوله : « وقنا عذاب النار » ، وغير ذلك من بركات السحور ، مع أن رب العزة ينادي على عباده في كل ليلة من ليالي العام ، فهم يتمكنون منها في رمضان بفضل السحور وبركاته ، لذا أردت التنبيه على ذلك لعل المسلم الكريم بعد قراءة هذا الحديث يعتاد في وقت السحر أن يجمع كل حاجة له فيبثها إلى ربه ويناجيه في ذلك الوقت الذي أظلمت فيه الدنيا وهجع فيه الناس ونامت فيه العيون ، فيقوم لربه يدعوه ، فيأخذ بهذا السبب الأعظم الذي يرفع الله به البلاء ، ويصرف به الداء ويفرج به الكرب ، ويبارك به في الرزق ، ويغفر به الذنب ، ويتولى به العبد ، فينال الخير الكثير بالدعاء في هذا الوقت المبارك في الثلث الأخير من الليل .

ينزل ربنا تبارك وتعالى

يقول أبو الطيب في « السراج الوهاج » : ولا شك ولا ريب في ثبوت هذه الصفة للَّه سبحانه ؛ لورود الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي بلغت حد الشهرة والقبول ، ومن أولها بنزول رحمته أو أمره أو ملائكته ، أو حملها على الاستعارة بمعنى الإقبال على الدعاء بالإجابة واللطف ونحوها ، فقد تحجر واسعًا وأبعد النجعة ، وسلك سبيل غير المؤمنين ، وخالف السنة المطهرة الواضحة التي ليلها كنهارها .

ذكر الذهبي في كتاب « العلو » أن حديث النزول قد بلغ حد التواتر المعنوي لكثرة طرقه وقوتها

وقال ابن خزيمة : نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية ؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل ، واللَّه جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام تبيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وتأويل المجيء والإتيان والنزول ونحو ذلك بمعنى القصد والإرادة ، ونحو ذلك هو قول طائفة ، وتأولوا ذلك في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [البقرة : ٢٩] ، وجعل ابن الزاغوني وغيره ذلك هو إحدى الروايتين عن أحمد ، والصواب : أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئًا منها ، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان ، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث ، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة ، ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة ، وتكون إما غلطًا أو محرفة .

ويقول شيخ الإسلام : الصواب - وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها - أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ، ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه ، وكذلك يوم القيامة ، كما جاء به الكتاب والسنة ، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض ، بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل اللَّه منزه عن ذلك .

يقول شيخ الإسلام ، رحمه اللَّه : وأما قول المعترض : إن الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول في التقدم والتأخر والطول والقصر ، فيقال له : الجواب عن قولك مثل الجواب عن قول : هل يخلو منه العرش أو لا يخلو منه ؟ وذلك أنه إذا جاز أنه ينزل ولا يخلو منه العرش ، فتقدم النزول وتأخره وطوله وقصره كذلك بناء على أن هذا نزول لا يقاس بنزول الخلق . (حتى قال) : فالنزول الإلهي لكل قوم هو مقدار ثلث ليلهم ، فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشمال والجنوب ، كما اختلف في المشرق والمغرب ، وأيضًا فإنه إذا صار ثلث الليل عند قوم فبعده بلحظة ثلث الليل عند من يقاربهم من البلاد ، فيحصل النزول الإلهي الذي أخبر به الصادق المصدَّق أيضًا عند أولئك إذا بقي ثلث ليلهم ، وهكذا إلى آخر العمارة .

يقول الجامي في « الصفات الإلهية » : إن السلف يثبتون

نزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير كما يليق بجلاله وعظمته ، ويثبتون المعنى العام للنزول دون الخوض والتنقيب عن الكيفية ، إيمانًا منهم بأن معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الموصوف ؛ فحيث آمنا بالله إيمان تسليم دون بحث عن كنه ذاته سبحانه ، فيجب الإيمان بجميع الصفات التي أثبتها لنفسه ، أو أثبتها له رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وصفة النزول إلى السماء الدنيا من الصفات التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويشهد له القرآن ، حيث أخبر الرب سبحانه عن مجيئه يوم القيامة ، فنستطيع أن نقول : إن النزول ثابت بالكتاب والسنة ، ولولا هذه النقول لكففنا عن إثباتها ، هذا هو الذي نعني بأنها خبرية محضة ، إلا أن العقل الصريح والفطرة السليمة لا يرفضان كل ما ثبت بالنقل الصحيح ، ولا يَعُدّانه مستحيلاً ، كما يزعم بعض الزاعمين ؛ لأن العقل يشهد أن الذي يفعل ما يشاء إذا شاء أن يفعل مثل النزول والاستواء والمجيء مثلاً ، والقادر على كل شيء أكمل من الذي لا يفعل كل ما يريد فعله لأنه : ﴿ فعَّال لما يريد ﴾ [البروج : ١٦] ، هكذا بصيغة (فعَّال) ، وهي تدل على كثرة الفعل ، وقد يفهم من الكثرة التنوع ، والله أعلم .

هكذا يجتمع العقل والنقل على الدلالة على صفات الأفعال بما في ذلك نزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا كيف يشاء ، ولله الحمد والمنة .

والحديث نص في إثبات صفة الكلام أيضًا لله سبحانه ، وأنه يتكلم كلامًا حقيقيًا ؛ لذا ساق البخاري رواية لهذا الحديث في كتاب التوحيد ، باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، فذكر في كتاب التوحيد عدة أبواب في إثبات كلام الله ، وهو من صفاته ، جمع فيها من الحديث عشرات ، واستشهد فيها بكثير من الآيات .

وقول سلف هذه الأمة : إن كلامه تعالى صفة فعل يتكلم بها متى شاء وكيف شاء ، وأن كلامه حروف وأصوات يُسمعها من يشاء من خلقه ، وأن صوته سبحانه بالكلام ليس كصوت المخلوقين ، وهو متعلق بمشيئته واختياره .

وبعد ؛ ففي الحديث : « من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ » .

وفي روايات أخرى : « هل من تائب فأتوب عليه ؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه ، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه » ، ومنه أيضًا : « ألا سقيم يستشفي فيشفى » ، « من يقرض غير عديم ولا ظلوم » .

وفي ذلك حث للمسلم أن يجمع حاجاته في ذلك الوقت فيسأل ربه ، فباب الخير مفتوح ، وبيده ملكوت كل شيء ، فهو ينزل المطر ، وينبت النبات ، ويخرج الزرع ، ويدر الضرع ، ويبارك في الرزق : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس : ٨٢] .

ففي الحديث تحريض على السؤال والدعاء ، وفيه أيضًا حث على عمل الطاعات والإكثار من القربات التي تساعد العبد على رفع الدعاء وقبول الرجاء .

وفيه إشارة إلى عظيم الثواب وجميل العطاء في قوله : « من يقرض غير عديم ولا ظلوم » ، أي لا يضيع ثواب عامل ، ولا يبخل على داع ، ولا يرد سائلاً .

والحديث فيه بيان فضل الدعاء في آخر الليل ، وبالتالي في الصلاة والأذكار ، لذا كان

أهل العلم يفضلون صلاة آخر الليل على أوله ، ومنه قول عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه ، لما جمع الناس على صلاة القيام في رمضان ، فكانوا يصلون في أول الليل ، فقال : (وإن كانت التي ينامون خير من التي يقومون) .

يقول تعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران : ١٧] ، يقول ابن كثير: دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار ، وقد قيل : إن يعقوب ، عليه السلام ، لما قال لبنيه : ﴿ سوف أستغفر لكم ربي ﴾ [يوسف : ٩٨] أنه أخرهم إلى وقت السحر (ثم ساق حديث أبي هريرة هذا) .

ثم ساق حديث عائشة : من كل الليل قد أوتر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من أوله وأوسطه وآخره ، فانتهى وتره إلى السحر ، وكان عبد اللّه بن عمر يصلي من الليل ، ثم يقول : يا نافع ، هل جاء السحر ؟ فإذا قال : نعم ، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح .

فضل الدعاء :

الدعاء عطاء الضعفاء الذي يحتاجه الأقوياء ، ومنحة الفقراء التي يفتقر إليها الأغنياء ، وهو باب اختبار صدق للباكي يكشف به كذب المتباكي ، فالنبي صلى اللّه عليه وسلم يقول : « هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم ؟ » قال ابن بطال : إن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء وأكثر خشوعًا في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا .

فكأن العبد مع عجزه عن أن يشمل الناس بعطاء من طعام أو شراب أو مال ، فإنه يستطيع ذلك بالدعاء ، فيدخل المسلمين في دعائه ، ويشمل المجاهدين والمظلومين والمرضى ، بل والموتى من المسلمين في الدعاء ، لذا فعليه أن يتبع أسباب استجابة الدعاء ، ومنها أن يدعو في جوف الليل ، فإن اللّه يبلغ بدعوته للمجاهدين نصرًا ، ولحقوق المظلومين ردًا ، وللمرضى شفاء ، وللمدينين سدادًا ، وللموتى رحمة ، وللمعذبين تخفيفًا ، وغير ذلك مما يكون العبد شديد الحاجة إليه ولا يدركه بما يملك من وسائل : شجاعة ، وعتاد ، ومال ، ورفعة .

والذي يتباكى على المسلمين الذين فسد حالهم وهانت على الكافرين حرماتهم ، ويرى أنه لا يبلغ موقعهم ليجاهد عدوهم فينصرهم فيضعف عن الوصول أو يحبس عنه ، يملك ولا شك ثلث الليل الآخر يضرع فيه إلى ربه يستنصره فيبلغ اللّه - بقدرته التي لا تغلب ولا تحجب - يبلغ بدعوته رزقًا ونصرًا وشفاء وخيرًا ، فإن عجز العبد عن مقاومة نومه في ثلث الليل الآخر ليقوم بدعوة صالحة لمن تباكى عليهم دل ذلك على أن دعواه زائفة ، فإن شهوة النوم دون نزال العدو وطعناته بكثير ودون عطاء المال ، وشهوة جمعه ، فدعاء جوف الليل باب اختبار صدق وعطاء واسع ، خاصة وأنه من جملة الدعاء بظهر الغيب .

والحديث في مسلم عن أبي الدرداء قال : إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ، ولك بمثل » .

قال النووي : وفي هذا فضيلة الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ، ولو دعا لجملة

المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا ، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة ؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها .

يقول ابن حجر : وإن الدعاء في ذلك الوقت مجاب ، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين ؛ لأن سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء ؛ كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو لاستعجال الداعي أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد ، أو لأمر يريده الله . (انتهى هذا الكلام النفيس فتدبره) ، ولابن رجب في كتابه « جامع العلوم والحكم » عند شرحه لحديث : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا » في ذلك الباب كلام نفيس فليراجع .

وفي الحديث بيان أن في مفارقة بعض الشهوات الكثير من الخيرات ، وذلك كحديث أبي هريرة عند الشيخين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره » ، ففي ترك شهوة النوم عند وفرة دواعيه والاتجاه إلى ربه بالدعاء الخير الكثير الذي يستجاب به الدعاء ، لذا يتجه الشيطان فيكيد للعبد عند نومه .

ففي حديث البخاري عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

قال ابن بطال : هذا وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه ، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم ، وإعطاء سؤالهم ، وغفران ذنوبهم ، وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم ، واستلذاذ له ومقاومة اللذة والدعة صعب ، لا سيما أهل الرفاهية ، وفي زمن البرد وكذا أهل التعب ولا سيما في قصر الليل ، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه ، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وشواغلها ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه سبحانه وتعالى .

وبعد ؛ ففي هذا الحديث حث للمسلمين في حاجاتهم إلى رب العالمين - والعبد بين نعمة موجودة يرجو لها دوامًا وبركة ، ونعمة مفقودة يرجو لها عودة ، وبلية يرجو لها صرفًا ، وذنب يرجو منه توبة - فيتجه العبد إلى ربه في وقت السحر الذي تعود في رمضان أن يقوم فيه لحظ طعامه وشرابه ، يتقوى به على صيامه ، فيعتاد الدعاء والسؤال لربه والاستغفار بالأسحار ، فحري به أن يستمر معه ذلك الخير العظيم طول العمر ؛ لأن رب العزة تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : « من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له » . والله من وراء القصد .

وكتبه

محمد صفوت نور الدين

حوار التوحيد مع :

الشيخ / أحمد صالح محايري

المشرف على مبعوثي وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالبرازيل

إعداد / جمال سعد حاتم

في البرازيل حيث توجد أقلية مسلمة تربو على المليون مسلم تقريبًا ، في بلد يبلغ تعداد السكان فيه ١٥٢ مليون نسمة .

ومع قلة عدد المسلمين بالنسبة للسكان إلا أنهم يشكلون فاعليات محسوسة وملموسة ، ولهم أثر فعال على الساحة البرازيلية ، ويتمتعون بنفوذ كبير في النواحي السياسية والتجارية ، ويتولون أعلى المناصب ، والبعض منهم صاروا نجومًا في البرلمان الفيدرالي ، ومشاركات المسلمين هناك في المجالس البلدية التابعة للولايات ؛ حيث تشارك الجاليات المسلمة في كل نواحي الحياة بشكل ملموس ومؤثر يحسه القاصي والداني !!

ولنتعرف على أحوال المسلمين وكيف يعالج الإسلام المشكلات الاجتماعية ، ومنها كثرة المتشردين في الشوارع من غير الأبناء الشرعيين ، وانتشار الإيدز ، والمخدرات ، واستعانة المسئولين هناك بدعاة المسلمين لمعالجة تلك المشاكل ؛ ومن خلال لقائنا مع الشيخ/ أحمد صالح محايري ، إمام جامع الملك فيصل بلوندرينا في البرازيل ، والمشرف على مبعوثي الأوقاف والشئون الإسلامية بالبرازيل لنتعرف منه على أحوال المسلمين هناك ، من خلال الحوار التالي :

■ مع قلة عدد المسلمين في البرازيل إلا أنهم طاقة كبيرة ومؤثرة على الساحة هناك .

■ استطعنا بحمد الله ان نفتتح قسمًا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة البرازيل الحكومية .

■ التوحيد : ما هي طبيعة العمل الذي تقومون به في البرازيل ؟

□ ج : أقوم بعمل هنا منذ حوالي ٢٥ سنة بالبرازيل .

مسمى العمل داعية ، والداعية لا يجلس في مكان واحد ولا يختص بعمل دعوي واحد ، فعمل الدعوة إلى الله أكثر بكثير من أن يحددها وظيفة أو عمل ، فكل تحرك في سبيل الله يرجى به خير للمسلمين ، ابتغاء مرضات الله ، فهو عمل من أعمال الدعوة ، فالصلاة هي دعوة لأداء الفريضة ، والدعوة إلى الصلاة هي أيضًا عمل من أعمال الدعوة ، جمع المسلمين على طاعة الله دعوة ، والاتصال بالمسئولين البرازيليين للتعريف بالإسلام هي أيضًا عمل من أعمال الدعوة . تعليم الأطفال عمل دعوي ، إنشاء المدارس ، وتهيئة أماكن العبادة ، وفتح مسجد من المساجد ، والاتصال بالمسلمين اتصالاً مباشرًا وغير مباشر ، الكتابة في الصحف المحلية ، كل هذا أمور من أمور الدعوة ، وآخر عمل لنا في الدعوة وبالأحرى من مرافق الدعوة الموجودة هنا ، إننا بتوفيق الله تعالى استطعنا أن نفتح قسمًا من جامعة حكومية برازيلية للدراسات العربية والإسلامية ، بلا شك إن الجامعة لا تنفق على هذا القسم إنما تطوعًا واحتسابًا ، استطعنا أن نفتح هذا القسم ، ونطل من خلال الجامعة على شريحة أخرى من المجتمع البرازيلي ؛ شريحة الشباب المثقف الجامعي ، نطل منه لنعرفهم بشيء عن الإسلام ، والثقافة الإسلامية - ولله الحمد - إذًا جمع الجالية على الإسلام ، تعليم الأطفال ، تعليم الذرية ، توعية الكبار ، إحياء المناسبات الإسلامية ، بمعنى أداء صلاة العيدين ، وجمعهم على صلاة الجمعة . هذه هي طبيعة عملنا نحن الدعاة .

ويوجد في البرازيل حوالي ٣٠ مسجدًا في ٢٥ مدينة ، معنى ذلك أن هذا العمل يسري في كل المساجد والتجمعات الإسلامية الموجودة في البرازيل .

تعداد المسلمين في البرازيل

■ التوحيد: فضيلة الشيخ : كم يبلغ تعداد المسلمين في البرازيل ؟ وهل يمارسون شعائرهم الدينية بدون تضييق من السلطات هناك ؟

□ ج : يقول الشيخ : إن أدق التقديرات يقال : إنه مليون مسلم ، ولكنني أرى في تقديري إنهم لا يصلون إلى هذا العدد ، فالتقدير الفعلي حوالي ٨٥٠ ألف مسلم من جملة تعداد السكان ، فتعداد السكان الكلي حوالي ١٥٢ مليون نسمة ، إذًا نسبة المسلمين هناك أقل من ضئيلة ، ولكنهم طاقة كبيرة ومؤثرة على الساحة هناك ، وكلهم ذوي أثر في الاقتصاد المحلي هناك ، وأصحاب نفوذ ، وتجارتهم منتشرة في كل مكان يقطنون فيه ، ومحلاتهم التجارية وأثرهم السياسي موجود ومحسوس ، والكثير منهم مشاركون في الأحزاب السياسية العاملة هناك ، ويشاركون في العمل السياسي ، بعضهم يتولى أعلى المناصب الحكومية ، منهم رئيس جمعية إسلامية كان عندنا في (لوندرينا) ربيته صغيرًا ، ثم صار عضواً في مجلس البرلمان الفيدرالي ، بمعنى أنه المسلم الوحيد الذي استطاع الوصول إلى ذلك المنصب في تاريخ البرازيل كله .

المجالس البلدية ومشاركة المسلمين

ويواصل الشيخ حديثه عن المسلمين في البرازيل فيقول : أما في المجالس البلدية في البلديات التابعة للولايات الأخرى المختلفة أيضًا يوجد كثير من المسلمين فازوا بالانتخابات المباشرة ، هذا معناه مشاركة الجاليات الإسلامية هناك في كل نواحي الحياة بشكل ملموس ومؤثر يحسه القاصي والداني .

■ التوحيد : فضيلة الشيخ : ما هي طبيعة الدعوة في البرازيل ؟ وما هو الخير المتاح . والذي تلمسونه من خلال قيامكم بالإشراف على العمل الدعوي هناك . والذي تتيحه لكم السلطات هناك ؟ وهل تجدون مضايقات من أي نوع أثناء قيامكم بهذا العمل ؟

تشجيع المسئولين للعمل الدعوي

□ ج: في الحقيقة إنه لا يوجد في البرازيل أي مضايقات يلاقيها القائمون على العمل الدعوي الإسلامي من أي نوع من الأنواع ، بل على العكس ، فهل تصدق أن المسئولين هناك يشجعون العمل الدعوي الإسلامي على الرغم من أن هؤلاء المسئولين من غير المسلمين ! يشجعونه في كل المناطق ، وهل تعلم أنه قد أقيم في البرازيل ٣٢ مسجدًا ، فإن نصف هذه المساجد الحكومات المحلية هي التي قدمت الأراضي التي أقيمت عليها مجانًا .

وهل تعلم أنه عندما تقام احتفالات رسمية بافتتاح المساجد ، كانت تأتي أعلى سلطة على المستوى الحاكم ، ويأتي لقص الشريط والمشاركة في الاحتفال ، ويخطب مادحًا الإسلام والمسلمين والثقافة الإسلامية ، والآن نستغرب كيف نجد هذه المبادرات من غير المسلمين لأقلية قليلة جدًا ، لا يخاف منها ، إلى هذه النتيجة

وصلنا من خلال اتصالاتنا بالمسئولين هناك من خلال عدة قنوات وجدنا أن البرازيل تعاني من عدة مشكلات اجتماعية ، منها كثرة المتشردين في الشوارع من غير الأبناء الشرعيين ، وكذلك انتشار الإيدز ، وانتشار الأفيون ، ورواج تجارة المخدرات ، وضياع الكثير من الشباب ، كل ذلك يتولد عنه أزمات اجتماعية ، على الدولة أن تجابهها وتجد لها الحلول ، فما وجدت لها الحل ، فرأت الدولة أن تربية الجيل على الأخلاق هو من أنجح السبل الآن للحد من هذه الظواهر السلبية والمخيفة في المجتمع .

ويواصل الشيخ حديثه قائلاً : إن كل تلك الأمور التي تحدثنا عنها جعلت الدولة تتجه إلى الإسلام ، وهي تعلم جيدًا أن الإسلام دين سماحة ودين خلق ، قبل أن يكون عقيدة ، وذلك لأنهم يعلمون ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، والأخلاق هي إنشاء الرجل الصالح ، فهم يتجهون إلى هذا ، ومن هذا القبيل هم يتصلون ببعض المسلمين ، وهم يتصلون بي دائمًا كرجل دعوة ومسئول عن الجالية الإسلامية هناك ، يريدون حلاً لكثير من الأمور المستعصية في ندوة مفتوحة ، شارك فيها النصارى وشاركتُ فيها وبعض الصحفيين ورجال علم الاجتماع لتطويق قضية الإيدز ، وقد قدمنا اقتراحات ، وأنا من منطلق إسلامي قدمت ثلاثة اقتراحات لهذا التطويق ، الندوة خرجت بها كتوصيات للمقترحات الثلاثة ، أما النصارى والآخرين الذين شاركوا في الندوة فما أتوا بجديد ، أما الخوري فكان يقول : يستعمل القميص الواقي أثناء العملية الجنسية ، وكان ردي عليه بعدم الموافقة ، وقد طالبتهم بالرجوع إلى الكتاب المقدس عندهم ، وقلت لهم : ستجدون أن اللواط محرم ، فلو أنكم حرمتموه في البرازيل ستجدون أن هذا هو الدواء الناجح ، والشيء الثاني الزنا ؛ كما قال المسيح ، عليه السلام : ولا تنظر إلى حليلة جارك ، فأنتم لو طبقتم هذا لضيقتم الخناق على فاحشة الزنا .

وأما انطلاقنا نحن كان من منطلق إسلامي ، وخرجت الندوة بالتوصيات الثلاثة ، وكانت التوصية الأولى - وهي محاربة اللواط - وعلى المجالس البلدية أن تحارب اللواط ، وتطارد اللوطيين ، وكذلك الفتيات البغاة اللواتي يمارسن الجنس ابتغاء المال ويتصيّدن الشباب .

الشيء الثالث والأهم ؛ أننا قلنا لهم : إنه يجب فحص الدم قبل نقله من إنسان لإنسان آخر ؛ لأنه هو الناقل للإيدز ، وقد أقروا هذا بالنسبة لتحاليل الدم عمومًا ، وكل ذلك يبين الأثر الإسلامي الواضح هناك للجالية الإسلامية البسيطة والقليلة العدد ، وصدق اللّه إذ يقول : ﴿ إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد : ٧] .

وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

أسئلة القراء عن الأحاديث

بقلم الشيخ
أبو إسحاق الحويني

● يسأل القارئ : محمود إبراهيم طلحة - أجا - محافظة الدقهلية عن درجة هذه الأحاديث :

١ - *« ذاكر اللَّه في رمضان مغفور له ، وسائل اللَّه فيه لا يخيب »* ؟

٢ - *« يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا » ، قالوا : صفهم لنا يا رسول اللَّه ؟ قال : « هم الشعثة رءوسهم ، الدنسة ثيابهم ، الذين لا يؤذنُ لهم على السُّدات ، ولا ينكحون المتنعمات ، توكل بهم مشارق الأرض ومغاربها ، يعطون كل الذي عليهم ، ولا يعطون كل الذي لهم »* ؟

٣ - *« لا تمثلوا بالبهائم »* ؟

○ والجواب بعون الملك الوهاب :

○ أمَّا الحديث الأول : « ذاكرُ اللَّه في رمضان .. » **فهو حديثٌ باطل** :

أخرجه الطبرانيُّ في « الأوسط » (٧٣٤١) ، وابنُ عدي في « الكامل » (٤/١٦٠١) ، والبيهقيُّ في « الشعب » (ج٧/ رقم ٣٣٥٥) ، والأصبهاني في « الترغيب » (١٧٥١) من طرقٍ عن أحمد بن منصور المروزي الملقب بـ « زاج » ، ثنا عبد الرحمن بن قيس ، ثنا هلال بن عبد الرحمن ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا ، فذكره .

قال الطبرانيُّ : (لم يرو هذا الحديث عن سعيد بن المسيب إلاَّ عليُّ بن زيد ، ولا عن عليٍّ إلاَّ هلال بن عبد الرحمن ، تفرد به عبد الرحمن بن قيس) . اهـ .

● قُلْتُ : وعبد الرحمن كذبه ابن مهدي وأبو زرعة ، وقال البخاريُّ : (ذهب حديثه) ، وقال أحمد : (لم يكن بشيء) ، وقال ابنُ حبان : (كان ممن يقلب الأسانيد ، وينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات ، تركه أحمد بن حنبلٍ) . اهـ .

وهلال بن عبد الرحمن ، قال العقيلي في « الضعفاء » (٢/٣٤٢) : (منكر الحديث) ، وعلي بن زيد هو ابن جُدعان ضعَّفوه من قبل حفظه ، وضعَّف الهيثميُّ الحديث في (مجمع الزوائد) (٣/١٤٣) ، وأعلَّه بهلال بن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن بن قيس شرٌّ منه ، والحديث أيضًا ضعَّفه المنذري في « الترغيب » (٢/١٠٣، ١٠٤) إذ صدَّره بقوله : (روي) كما نصَّ عليه في مقدمة الكتاب ، وكان اللائق به رحمه اللَّه أن يحذفه من كتابه لشدة ضعْفِه ، فلو اكتفى بالصحيح والحسن وما يقاربهما مما ضعْفُه محتمل لهان الأمر ، ولكنه أدخل الموضوعات والبواطيل والمناكير في كتابه ، والضعيف أيضًا وصدَّر الكل بقوله : (روي) ، فضاع على الناس معرفة شديد الضعف مما ضعفه محتمل . فاللَّه المستعان .

○ أمَّا الحديث الثاني : « يدخل فقراء أمتي الجنة .. » **فصحيحٌ** .

فأخرجه الطبرانيُّ في « الكبير » (ج١٢/ رقم ١٣٢٢٣) ، وفي « الأوسط » (ج١/ ق١٩٩/١) قال : حدثنا الحسين بن إسحاق التستريُّ . وأخرجه الإسماعيليُّ في « معجمه » (رقم ٤٥ بتحقيقي) من طريق أبي زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم ، قالا : ثنا عليُّ بن بحر ، ثنا قتادة بن الفضل ، قال : سمعتُ أبا حاضر يحدث عن الوضين بن عطاء ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ابن عمر مرفوعًا فذكره بتمامه . وسنده ضعيفٌ أو واهٍ .

وقتادة بن الفضل ذكره ابنُ حبان في « الثقات » ، وقال أبو حاتم : (شيخ) ، وأبو حاضر ، قال الذهبي في « الميزان » (٥١٢/٤) : (مجهولٌ) ، أمَّا الهيثميُّ فقال في « المجمع » (١٧٠/١) : (أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه منكرُ الحديث) ، وصنيع الذهبيِّ التفريق بينهما . والوضين بن عطاء في حفظه سوء .

وقال الطبرانيُّ : (لا يروى عن ابن عمر إلاَّ من هذا الوجه ، ولم يحدث به إلاَّ عليُّ بن بحر) . اهـ .

وعليُّ بن بحر ثقةٌ ، والشأن في غيره كما تقدَّم ، وقال المنذري في « الترغيب » (١٣٦/٤) ، والهيثميُّ في « المجمع » (٢٦٠/١٠) بعد ذكر الحديث : (رواته ثقات) ! كذا قالا ، وقد رجح الهيثميُّ أن أبا حاضر هو عبد الملك بن عبد ربه ، ووصمه بأنه منكرُ الحديث ، فكيف يقول : (رواته ثقات) ، وحتى لو فرَّق بينهما كما فعل الذهبي ، فأبو حاضر الذي يروي عن الوضين مجهولٌ ، هذا مع ما قيل في حفظ الوضين ، فقولهما - على جميع الوجوه - لا يستقيم . والله أعلم .

ولكن للحديث شواهد يصحُ بها ؛ فأمَّا أوَّلُهُ فصحَّ عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما ؛ أخرجه مسلمٌ في « صحيحه » (٣٧/٢٩٧٩) من طريق ابن وهب ، أخبرني أبو هانئ ، سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي قال : وجاء ثلاثةُ نفرٍ إلى عبد الله بن عمرو بن العاص وأنا عنده ، فقالوا : يا أبا محمدٍ ، إنا والله ما نقدرُ على شيءٍ ، ولا نفقةٍ ، ولا دابةٍ ولا متاعٍ ، فقال لهم : ما شئتم ، إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسَّر الله لكم ، وإن شئتم ذكرنا أمركم للسلطان ، وإن شئتم صبرتم ، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا » . قالوا : فإنا نصبر ، ولا نسأل شيئًا .

وأخرجه أحمد (١٦٩/٢) ، وابنُ حبان (ج٢/ رقم ٦٧٨) من طريق حيوة ، حدثنا أبو هانئ بسنده سواء بالمرفوع وحده دون القصة ، ولكن وقع عند ابن حبان : (بسبعين أو أربعين خريفًا) ، هكذا وقع الحديث عند ابن حبان على الشكِّ ، وقد رواه أحمد قال : حدثنا أبو عبد الرحمن ثنا حيوة - وهو ابنُ شريح - وأخرجه ابنُ حبان من طريق أبي خيثمة زهير بن حرب - وهو ثقةٌ حافظ - ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، وهو أبو عبد الرحمن شيخ أحمد فيه ، فلعلَّ الشك من أبي خيثمة ، أو من أبي يعلى رواية عنه . والله أعلم .

ففي رواية أحمد عن المقرئ قال : (بأربعين خريفًا) ، ولم يشُكّ ، وكذلك رواه هارون بن ملول المصري عن المقرئ مثل روايةُ أحمد : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٢ الجزء المتمم) .

وأخرجه النسائيُّ في « السنن الكبرى » (٥٨٧٦) ، والدارميُّ (٢/٣٤٥) ، وابن حبان (٦٧٧) ، والبيهقيُّ في « البعث والنشور » (٤١١) من طريق معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : بينما أنا جالسٌ في المسجد وحلقةٌ من فقراء المهاجرين وسط المسجد جلوسٌ ، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجد نصف النهار ، فانطلق إليهم ، فجلس معهم ، فلما رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم جلس إليهم قُمتُ إليه ، فأدركتُ من حديثه وهو يقولُ : « بشّر فقراء المهاجرين إنهم ليدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عامًا » ، وسنده صحيح ، وهذا لفظ ابن حبان ، وعند الباقين : (قال عبد الله بن عمرو : فلقد رأيت ألوانهم أسفرت حتى تمنيتُ أن أكون منهم) .

وعند الدارميّ : (أو معهم) ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/٧٠) ، وعنه البيهقيُّ في « الشعب » (ج٨/ رقم ٣٩٥٥) من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابنُ وهب ، أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عيَّاش بن عبَّاس ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أتعلم أول زمرةٍ تدخلُ الجنة من أمتي ؟ » قال : اللهُ ورسوله أعلم ، فقال : « فقراء المهاجرين يأتون يوم القيامة باب الجنة ، ويستفتحون ، فيقولُ لهم الخزنةُ : أو قد حوسبتم ؟ قالوا : بأيِّ شيء تُحاسبونا ؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى مُتنا على ذلك » ، قال : « فيفتح لهم ، فيقيلون فيه أربعين عامًا قبل أن يدخلها النَّاسُ » . قال الحاكمُ : (صحيحٌ على شرط الشيخين) ، ووافقه الذهبي وليس كما قالا ، والصواب أنه على شرط مسلم ، فهذه الترجمة : (سعيد بن أبي أيوب ، عن عياش بن عباس ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي) لم يخرجها البخاري ، ولم يرو البخاريُّ شيئًا لعياش بن عباس .

وأخرجه أحمد (٢/١٦٨) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٣٥٢) ، وابن حبان (٧٤٢١) ، وابن أبي عاصم في « الأوائل » (٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٣٤٧) ، وفي « صفة الجنة » (٨١) ، والبزار في « مسنده » (٣٦٦٥ - كشف الأستار) ، والبيهقيُّ في « البعث » (٤١٤) ، وفي « الشعب » (ج٨/ رقم ٣٩٥٤) ، عن الحاكم وهو في « المستدرك » (٢/٧١ ، ٧٢) ، وابن جرير في « تفسيره » (٤/٢١٦) ، والأصبهاني في « الترغيب » (٨١٠) من طريق أبي عشانة حدثه قال : سمعتُ عبد الله بن عمرو يقول ، وساق الحديث بنحوه مع اختلاف في سياقه .

قال المنذري في « الترغيب » (٢/٣١٩ ، ٣٢٠) : (إسناده حسنٌ ، لكن متنه غريبٌ) .

وأخرجه أحمد (٢/١٦٨) قال : حدثنا حسنٌ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو عشانة مثله .

وأمَّا آخر الحديث فله شواهد منها حديث ابن عمر مرفوعًا : « حوضي ما بين عدن وعمان أبردُ من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيبُ ريحًا من المسك ، أكوابُه مثلُ نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا ، أولُ الناس عليه ورودًا صعاليك المهاجرين » ، قال قائلٌ : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « الشعثة رءوسهم ، الشحبةُ وجوههم ، الدنسة ثيابهم ، لا يُفتح لهم السدد ، ولا ينكحون المتنعمات ، الذين يعطون كلَّ الذي عليهم ، ولا يأخذون الذي لهم » .

أخرجه أحمد (١٣٢/٢) ، قال : حدثنا أبو المغيرة : ثنا عمرو بن عمرو أبو عثمان الأحموسي ، حدثني المخارق بن أبي المخارق عن عبد الله بن عمر .

قال المنذريّ في «الترغيب» (٤٢٠/٤) : (إسناده حسنٌ) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٦٦/١٠) : (رواه أحمد والطبراني من رواية عمرو بن أبي عمرو الأحموسي عن المخارق بن أبي المخارق ، واسمُ أبيه عبد الله بن جابر ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات) .

وله شاهد آخر من حديث ثوبان ، رضي الله عنه ، أخرجه الترمذيُّ (٢٤٤٤) ، وابنُ ماجه (٤٣٠٣) ، وأحمد (٢٧٥/٥ ، ٢٧٦) ، والطيالسيُّ (٩٩٥) ، والحاكمُ (١٨٤/٤) ، وابنُ أبي الدنيا في «الأولياء» (٧) ، وابنُ عبد البر في «التمهيد» (٢٩٣/٢ ، ٢٩٤) من طرقٍ عن محمد بن المهاجر ، عن العباس بن سالم اللَّخمي ، عن أبي سلاَّم الحبشي ، قال : بعث إليَّ عمرُ بن عبد العزيز ، فحملتُ على البريد ، قال : فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين ، لقد شقَّ عليَّ مركبي البريد ، فقال : يا أبا سلام ، ما أردتُ أن أشقَّ عليك ، ولكن بلغني عنك حديثٌ تحدثه عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحوض ، فأحببتُ أن تشافهني به ، قال أبو سلاَّم : حدثني ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «حوضي من عدن إلى عمَّان البلقاء ، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكاويبه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا ، أولُ الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رءوسًا ، الدُّنس ثيابًا ، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السُّدد» . قال عمرُ : لكني نكحتُ المتنعمات ، وفتح لي السُّدد ، ونكحتُ فاطمة بنت عبد الملك ، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعث ، ولا أغسلُ ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ .

وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، وقد اختلف في سنده وشرحتُ ذلك في تخريجي على «معجم الإسماعيلي» . فلله الحمدُ .

○ أمَّا الحديث الثالث : «لا تمثلوا بالبهائم» **فصحيحٌ** :

أخرجه النسائيُّ (٢٣٨/٧) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج١٦/ ق٧٦٥) من طريق عبد العزيز بن أبي حازم ، وأخرجه أبو عمرو السمرقندي في «الفوائد المنتقاة» (٨٠- بتحقيقي) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي كلاهما عن يزيد بن الهاد ، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقوم يرمون كبشًا بالنبل ، فكره ذلك وقال : «لا تمثلوا بالبهائم» . وسنده جيدٌ .

وفي الباب عن ابن عمر ، أخرجه النسائيُّ وأحمد (١٣/٢) بسند قوي .

وأما النهي عن التمثيل بذوات الأرواح ، ففيه حديث بريدة بن الحصيب عند مسلمٍ وأصحاب السنن إلاَّ النسائيَّ كما حققتُه في «غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود» (رقم ١٠٥٦) ، وهو مطبوع .

والحمد لله أولاً وآخرًا ، ظاهرًا وباطنًا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الفتاوى

إعداد
لجنة الفتوى
بالمركز العام

رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين

أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د . جمال المراكبي

هاروت وماروت

● **يسأل** : شاكر محمد الجنيدي - رئيس فرع الجماعة ببنها :

عن قصة هاروت وماروت التي وردت في « ابن كثير » ، و« مسند أحمد » وغيرهما ، وأن بعض الخطباء يلقيها على العامة في مواعظهم وخطبهم ؟

● **الجواب** : أن الحديث الذي رواه أحمد في « مسنده » عن عبد اللّٰه بن عمر مرفوعًا : « إن آدم لما أهبطه اللّٰه تعالى إلى الأرض قالت : أي رب ، أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بني آدم ، قال اللّٰه تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى يُهبط بهما إلى الأرض ، فننظر كيف يعملان ، قالوا : ربنا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ، فجاءتهما فسألاها نفسها ، فقالت : لا واللّٰه حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك ، فقالا : واللّٰه لا نُشرك باللّٰه أبدًا ، فذهبت عنهما ، ثم رجعت بصبي تحمله ، فسألاها نفسها فقالت : لا واللّٰه ، حتى تقتلا هذا الصبي ، فقالا : واللّٰه لا نقتله أبدًا ، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا واللّٰه حتى تشربا هذا

الخمر ، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي ، فلما أفاقا قالت المرأة : واللَّه ما تركتما شيئًا مما أبيتماه علي إلا قد فعلتما حين سكرتما ، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا » .

والحديث ورد في غيره مرفوعًا بألفاظ متباينة ومعان كثيرة مختلفة ، وقد حكم عليه الشيخ أحمد شاكر - رحمه اللَّه - بقوله : ضعيف الإسناد ، أما الشيخ شعيب الأرناءوط فقال : إسناده ضعيف ، ومتنه باطل .

ويقول الشيخ محمد أبو شهبة بعد ذكر روايات لها في « الدر المنثور » للسيوطي : وكل هذا من خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم التي لا يشهد لها عقل ولا نقل ولا شرع ، ثم ساق روايات أخرى وقال : ولا ينبغي أن يشك مسلم عاقل ، فضلًا عن طالب حديث في أن هذا موضوع على النبي صلى اللَّه عليه وسلم مهما بلغت أسانيده من الثبوت ، فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية ساقطة ولا تخلو من وضاع أو ضعيف أو مجهول ، ونص على وضعه أئمة الحديث .

وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج بن الجوزي ، ونص الشهاب العراقي على أن من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما فهو كافر باللَّه العظيم ، وقال الإمام القاضي عياض في « الشفا » : وما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت لم يرد فيه شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، وليس هو شيئًا يؤخذ بالقياس .

وكذلك حكم بوضع المرفوع من القصة ؛ الحافظ ابن كثير ، وأما ما ليس مرفوعًا فبين أن منشأه روايات إسرائيلية أخذت عن كعب وغيره ألصقها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام .

ثم قال أبو شهبة - رحمه اللَّه -: وكذا ردها المحققون من المفسرين الذين مهروا في معرفة أصول الدين وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات ؛ كالإمام الرازي ، وأبي حيان ، وأبي السعود ، والألوسي .

ويقول ابن كثير في « تفسيره » بعد ذكر عدد من الروايات المرفوعة والموقوفة : فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل ، وقال في « البداية والنهاية » : (هذا من أخبار بني إسرائيل كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار ، ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها . واللَّه أعلم) .

وبالجملة فالحديث واهٍ ساقط باطل لا تحل روايته إلا على سبيل التحذير ، فليتق اللَّه كل واعظ يجعله مادة في حديثه ، فإنه يقع في الكذب والافتراء على اللَّه ورسوله وملائكته ، وليعتمد على الصحيح من الحديث المرفوع ، ففيه الغنية ، ويعرض عن مثل هذه الإسرائيليات ، فإنها باب شرور كثيرة ، ومثل هذا قد خالفه شرعنا بإثبات طاعة الملائكة وأنهم لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . واللَّه أعلم .

لا يشرع الاستنجاء من الريح، وتجب من الغائط

● ويسأل : محمود عبد الله عبد الرحمن - قوص - قنا : عن كيفية الاستنجاء ؟ وهل يلزم من خروج الريح ؟

● **والجواب** : أن المقصود بالاستنجاء إزالة النجاسة من المحلين بسبب البول والغائط، وهي تكون بالأحجار، أو بالماء، ويكون بثلاثة أحجار، بحيث تنقي المحل من النجاسة، فإن لم تكف وجبت الزيادة، ولا يشرع الاستنجاء من الريح، وتجب من الغائط في محله، ومن البول في محله، واستخدام الماء أفضل؛ لأنه ينقي المحل، وإن كانت الأحجار تكفي لمن أراد أن يكتفي بها.

● ويسأل سائل : عن وضع الطيب في الصيام واستعمال السواك ؟

● **والجواب** : أنهما جائزان، والله أعلم.

عليك بالتوبة النصوح والقضاء

● ويسأل : م . أ . أ - الإسكندرية : عمن أفطر عامدًا في رمضان ؟

● **والجواب** : أن عليه التوبة النصوح، وقضاء ذلك اليوم، ويكثر من الدعاء والتنفل، لعل الله أن يقبل منه؛ لأنه ذنب عظيم أن يفطر عامدًا في رمضان بغير عذر ولا كفارة عليه.

● أما الأخت : م . ح . أ - القاهرة : فتسأل عن تزينها لزوجها الذي عقد عليها ولم يدخل بها، علمًا بأن أباها يرفض ذلك ؟

● **والجواب** : أن تزينها له جائز، ولكن إن منعها أبوها أطاعته في ذلك، طالما أن زوجها لم يدخل بها بعد.

ردود سريعة

● السائل : علاء محمد عبد الباقي - كفر صقر - شرقية :

وصلتنا رسالتك المطولة، والجواب على سؤالك عن نقل الأعضاء راجع فيه افتتاحية مجلة التوحيد عدد جمادى الآخرة ورجب بتدبر، ففيها الرد على الإشكالات التي ذكرتها كاملة.

وفهمك لخلافة الإنسان يحتاج إلى تعديل، فالإنسان خليفة بمعنى أن كل جيل يخلف سابقه، وليس خليفة عن الله، ولذلك راجع تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ إني

جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] ، واعلم أن اللَّه لا يغيب حتى يخلف ، إنما يخلف من يغيب ، وراجع أيضًا (ص ٤٢) وما بعدها من المجلد (٣٥) من «مجموع فتاوى ابن تيمية» ، فهو هام أيضًا .

هذا واعتذارك في نهاية الرسالة مقبول ، لكن تبريرك له غير مقبول ؛ لأن اللَّه سبحانه يقول : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره ﴾ [القيامة : ١٤ ، ١٥] ، فهيا من اليوم ابدأ بحفظ القرآن وتعلم الشرع يفتح اللَّه لك الأبواب ، ولا تلقي المسئولية على غيرك ، فتلك من حيل الشيطان ، فلا تستسلم له ، واغتنم فراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل مرضك ، وحياتك قبل موتك ، وسل اللَّه يوفقك .

حافظي على الصلوات ولا قضاء لما مضى

● وأما السائلة : سحر البدري - الإسكندرية :

فنقول لها : عليك بالمحافظة على الصلاة لوقتها والإكثار من النوافل ، ولا قضاء عليك للسنوات التي مضت ، لكن الواجب عليك التوبة النصوح ، وارتداء النقاب من أمور الشرع التي ينبغي المحافظة عليها بالمعروف .

ننصحك بقراءة افتتاحية عدد شهر رمضان

● السائل : م . ع . ع . م - الزقازيق : ننصحك بقراءة افتتاحية عدد شهر رمضان بتدبر ، ففيها - إن شاء اللَّه - كفاية ، فإن لم تكفك فأعد الاستفسار مرة أخرى .

● أما الأخ : صفوت المعداوي - شربين : فقد أهدى إلينا بعض أنشطته العلمية الجيدة ، فنأمل من اللَّه أن يستمر في قراءته وتعلمه ، وأن يطور كتابته ، واللَّه يوفقه ويرعاه .

● وأما السائل : خليل أحمد خليل - بني سويف :

فلقد وصلتنا منه عدة خطابات بأسئلة مختلفة وموضوعات متعددة ، لعلنا أن نفرد لبعضها إجابات مطولة بعد ذلك ، ولكن ننصحه بمعاونة ولده المذكور في أمر الزواج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وأن ينفق في ذلك بالمعروف ، واللَّه يوفقه للخير والسداد .

● والسائل : م . ن . ع - كفر الدوار : عليك الإحسان بأبيك ، والمبالغة في ذلك بكل أمر حلال .

● والأخ : خالد أحمد - كلية الهندسة - الإسكندرية :

فنوصيه أولاً بحفظ القرآن على يد بعض الشيوخ ، مع الاستمرار في مراسلته لنا ، واللَّه يوفقه إلى كل خير .

الربا

باب الاقتصاد الإسلامي

* * *

تذكرت ما نشر من قبل تحت مثل هذا العنوان لأكثر من كاتب ، ولا يستطيع المسلم أن يقول : الربا حلال ، فهذا كفر صريح ، فماذا يفعل من أراد أن يُحِلَّ ربا العصر دون أن يحكم بكفره؟

* * *

بقلم

أ . د / علي أحمد السالوس

أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة جامعة قطر

سلك هؤلاء مسلكًا آخر ، وجعلوا التحريم مقصورًا على صورة واحدة لا نكاد نجد لها وجودًا في أي عصر أو مصر ، وهي : أن يقرض المسلم أخاه قرضًا حسنًا ، فإذا حل الموعد وعجز عن الأداء استغل حاجته وقال له : إما أن تقضي وإما أن تُرْبي .

وعدم واقعية هذه أن المحسن عادة لا ينقلب إلى جشع مستغل ، والجشع المستغل لا يعرف القرض الحسن ، فإذا كانت الصورة لا نكاد نجد لها وجودًا في واقع الناس ، فهذا يعني أنهم وصلوا إلى تحليل الربا في جميع صوره وأشكاله في كل معاملات الناس ، مع رفعهم شعار : الربا حرام .

❋ منهج القرآن الكريم في تحريم الربا :

بدأ الكاتب المبحث ببيان أن الربا من أكبر الكبائر ، ثم تحدث

☐ جاءت السنة النبوية الشريفة فأكدت ما جاء في القرآن الكريم من تحريم قاطع للربا ، وفصلت ما خفي على الناس من شأنه .

حرام ولكن ما الربا ؟!

عن منهج شريعة الإسلام في تحريم الربا ، ووقف عند الصور الأربع التي تحدثت عن الربا ، وهي تبين هذا المنهج الحكيم .

ووقف طويلاً عند قوله تعالى في سورة « آل عمران » : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مُضاعفةً واتقوا اللّه لعلكم تُفلحون ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

وقال : والتقييد بقوله سبحانه : ﴿ أضعافًا مُضاعفةً ﴾ ليس المقصود منه النهي عن أكل الربا في حال المضاعفة خاصة ، وإباحته في غيرها ، فالربا قليلُهُ وكثيرُهُ حرام .

وبين المقصود من هذا التقييد ، واستدل على قوله بالقرآن الكريم فقال : وشبيهُهُ في ذلك قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ [النساء : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردْنَ تحصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] ، ووضح المراد ، فأحسن وأجاد .

وانتقل إلى الآيات الكريمة في سورة « البقرة » : ﴿ الذين يأكلون الربا ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وقال : والمتدبر لهذه الآيات الكريمة يراها بدأت ببيان : أن الذين يتعاملون بالربا - أخذًا أو إعطاءً - لا يقومون للقاء اللّه تعالى يوم القيامة ، إلا قيامًا كقيام المتخبط المصروع المجنون الذي مسه الشيطان . ثم رَدَّ على من ساوى بين التعامل بالربا والتعامل بالبيع والشراء .. إلخ .

وبعد الحديث عن آيات الربا في القرآن الكريم ، انتقل الكاتب إلى السنة المطهرة ، فقال : السنة أكدت تحريم الربا .

وتحت هذا العنوان قال : ثم جاءت السنة النبوية الشريفة فأكدت ما جاء في القرآن الكريم من تحريم قاطع للربا ، وفصلت ما خفي على الناس من شأنه . فقد عَدّ صلى اللّه عليه وسلم التعامل بالربا من كبائر الذنوب .

ثم استطرد إلى حديث : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، ثم قال : وبين صلى اللّه عليه وسلم أن لعنة اللّه شملت كل من اشترك في عقد الربا ، وذكر حديث : « لعن اللّه آكل الربا ، ومؤكله ، وشاهديه ، وكاتبه » .

❋ الخلط بين ربا الفضل وربا النسيئة :

بعد ما سبق من كلام طيب قال الكاتب : كما بينت السنة النبوية الشريفة نوعًا آخر من الربا ، وهو ما يسمى ربا الفضل - أي : الزيادة - بأن تكون المبادلة بين شيئين متماثلين مع اشتراط الزيادة في أحدهما .

أي أن الزيادة في ربا النسيئة - أي : التأخير - تكون في مقابل تأجيل الدين الذي حل وقت سداده إلى وقت آخر .

أما الزيادة في ربا الفضل

☐ الربا من أكبر الكبائر . وقد جاء الآيات القرآنية موضحةً هذا المعنى . ومبينة للمنهج الحكيم .

☐ الخلط بين ربا الفضل وربا النسيئة لم نجده إلا في عصرنا . بل وجدنا من يعمد إلي هذا الخلط عمدًا ليصل إلي تحليل الربا المحرم !!

فتكون مشروطة مقدمًا لأحد المتعاقدين في عقد المعاوضة بدون مقابل، كأن يقرض إنسان آخر مائة جنيه مشترطًا عليه أن يردها له بعد مدة معينة مائة وعشرين مثلاً.

ومن الأحاديث التي وردت في تحريم ربا الفضل ما جاء في الحديث الصحيح؛ عن عبادة بن الصامت، رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُر بالبُر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواءً بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد». اهـ.

وهذا – ولا شك – خلط بين ربا الفضل وربا النسيئة، ذلك أن المعروف أن ربا الفضل يكون في البيوع، لا في الديون والقروض، مع القبض في المجلس، وهو لا يكون إلا في الجنس الواحد من الأموال الربوية، ويوضحه حديث تمر خيبر المشهور: «إنا نبتاع الصاع من هذا بالصاعين»، أما ربا النسيئة فيكون في الجنس الواحد، وفي الجنسين، وفي الديون والقروض وفي البيوع، وقد يصدق عليه ربا الفضل، ولكن يسمى ربا فضل، كما قال ابن حجر الهيثمي: وتسمية هذا نسيئة – مع أنه يصدق عليه ربا الفضل أيضًا – لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات.

وحديث عبادة بن الصامت، رضي اللّه عنه، لا يقتصر على تحريم ربا الفضل، فالأصناف الستة إذا لم تكن مثلاً بمثل سواءً بسواء، وكانت يدًا بيد، فهذا ربا فضل، وإذا لم تكن يدًا بيد فهذا ربا نسيئة، وإذا اختلفت الأصناف فلا يوجد ربا فضل، وإنما يكون ربا النسيئة إذا لم يكن يدًا بيد، أما إذا كان يدًا بيد فلا يشترط التساوي، والفضل جائز كما هو واضح من فقه الحديث. فالحديث الشريف إذًا يبين تحريم ربا الفضل وربا النسيئة في البيوع.

وما ذكره الكاتب عن ربا النسيئة صورة من صوره، وليست كل صوره؛ لهذا نرى إعادة صياغة ما ذكره الكاتب، فالسنة بينت نوعًا آخر من الربا هو: ربا البيوع، وهذا الربا ينقسم إلى قسمين: ربا الفضل، وربا النسيئة، وقد بينت بالتفصيل في كتابي «المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي»، أما ما كان في الجاهلية فلم يأت الحديث عنه بعد.

والخلط بين ربا الفضل وربا النسيئة لم نجده إلا في عصرنا؛ بل وجدنا من يعمد إلى هذا الخلط عمدًا ليصل إلى تحليل الربا المحرم، أو إباحته بزعم المصلحة.

واستند هؤلاء المجترئون إلى قول ابن القيم في ربا الفضل: ربا الفضل محرم تحريم وسائل من باب سد الذرائع، لا تحريم مقاصد، كما حرم ربا النسيئة، ووجه ذلك أن بيع خمسة دنانير بستة نسيئة غير جائز، وهذا هو ربا النسيئة، وكذلك هو غير جائز بيعًا حالاً، وهذا هو ربا الفضل، ذلك أننا لو أجزناه حالاً، وحرمناه نسيئة، لاتخذ الناس الحال ذريعة إلى النسيئة، ولباع رجل من آخر خمسة دنانير بستة بزعم أن البيع حال، ويتواضعان على أجل.

وكلام ابن القيم واضح في أن الحديث عن ربا البيوع لا ربا الديون والقروض، وأن ربا الفضل في البيع الحال في الصرف، ومثله: كل ما يجب فيه قبض كل من العوضين في المجلس، أما البيع نسيئة فهو ربا نسيئة، ولا يقال: ربا فضل، أو ربا فضل ونسيئة، وبين ابن القيم أن ربا الفضل في البيع الحال – لو أجيز – لاتخذ ذريعة إلى النسيئة.

ومعلوم أن فوائد البنوك ليست نتيجة بيع حال حتى تعد من ربا الفضل، لا يتصور ربا الفضل في نقود العصر.

❁ ما الربا المجمع على تحريمه ؟!

الربا المجمع على تحريمه هو: كل زيادة مشروطة على القرض في جميع الأموال، وكل زيادة على الدين الذي حل موعده مقابل التأجيل «إما أن تقضي، وإما أن تربي»، وربا البيوع بنوعيه: الفضل، والنسيئة في الأصناف الستة المعلومة، كل هذا مجمع عليه بغير خلاف، ومعلوم من الدين بالضرورة، وإنما الخلاف في ربا البيوع في غير الأصناف الستة؛ فأهل الظاهر رأوا الوقوف

عندها خلافًا لجمهور الأئمة . والأئمة اختلفوا في بيان العلة .

ومن ثم لا يجوز بحال أن يقال بوجود خلاف بين علماء الأمة في ربا القروض والديون ، وكذلك ربا البيوع في الأصناف الستة ، وإن خالف ابن عمر وابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، فترة من الزمن في ربا الفضل قبل أن يبلغهما حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

وقد بينت هذا بالتفصيل ، مع الأدلة الثابتة التي لا يستطيع مسلم أن يحيد عنها ، وذلك تحت عنوان (مفهوم الربا المحرم) في مقال : « حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار في الفقه الإسلامي » في عدد صفر ١٤١٨ هـ (ص : ٤٧) .

وقد ذكر الكاتب أن السنة المطهرة فصلت ما خفي على الناس في شأن الربا ، فلا يجوز للدائن أن يشترط على المدين أن يرد له أكثر مما أخذه منه ، فالقاعدة الشرعية تقول : (كل قرض جر نفعًا فهو ربا) أي : كل قرض اشترط صاحبه على المقترض منه أن يرده إليه زائدًا عن أصله ، فهذه الزيادة ربا . اهـ .

وما دمنا نتحدث عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية ، فالأمر أساسًا يتعلق بربا القروض والديون ، وهذا من الربا الذي لا خلاف حوله .

❋ عناوين مغرضة :

ولكن تحت عنوان : ما الربا المجمع على تحريمه ؟ ! لم يذكر الكاتب أن السنة المطهرة فصلت ، ولم يذكر الربا المجمع على تحريمه محددًا كما يبدو من العنوان ، وإنما قال : المتتبع لأقوال العلماء يرى اختلافًا كبيرًا بينهم في تحديد صور الربا المحرم شرعًا ، وقد سرى هذا الاختلاف منذ عهود الصحابة إلى يومنا هذا ، مع اتفاقهم جميعًا على أن التعامل بالربا من أكبر الكبائر ، أي أن الاختلاف في تحديد صور الربا المحرم شرعًا ، وليس في ذات تحريمه .

وبعد هذا مباشرة ذكر كلامًا لأحد الكتاب المعاصرين القائلين بأن الربا المحرم غير محدد ، والرافضين لتجنب الشبهات ما دام الأصل في المعاملات الإباحة .

ولا شك أن هذا يؤدي إلى استباحة الربا في معاملاتنا ما دام لم يبين لنا ويبقى تحريم الربا ، والخلود في جهنم ، والأذان بحرب من اللّه ورسوله ، مجرد معان في آيات تتلى دون تطبيق !!

وما قيمة تحريم الربا - إذًا - ما دمنا لا نعرف صوره ؟ وهذا كلام ساقط ، يتعارض مع وجوب بيان الرسول صلى اللّه عليه وسلم للناس ما نزل إليهم ، ومع ما ذكر من قبل من صور الربا المجمع عليه .

ومما ذكره هذا الكاتب ، وردده المجترئون على الفتيا - كلهم أو جلهم - أن عمر بن الخطاب ، رضي اللّه عنه ، قال : (إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا ، وأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قُبض ولم يفسرها ، فدعوا الربا والريبة) .

وهم لا يذكرون هذا لتجنب ما فيه من ربا ، وما فيه شبهة الربا ، كما أمر عمر - لو صح عنه هذا - وإنما للقول بأن الربا غير معلوم ، والأصل في المعاملات الإباحة ، هكذا أراد هؤلاء !

والذي نسب لعمر ، رضي اللّه عنه ، رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وابن ماجه في « سننه » ، وهو خبر ضعيف ، قال الشيخ أحمد شاكر : (إسناده ضعيف لانقطاعه) - (انظر « المسند » : ٣٦/١ ، رواية رقم ٢٤٦) - وفي إسناده أيضًا سعيد بن أبي عروبة ، إمام أهل البصرة في زمانه ، لكنه اختلط عدة سنوات في آخر عمره ، وما روى في زمن اختلاطه ليس بحجة . (انظر ترجمته في « ميزان الاعتدال » ، « وتهذيب التهذيب ») .

وقال ابن حزم في « المحلى » (٩/٥١٩) : (حاش للّه من أن يكون رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يبين الربا الذي توعد فيه أشد الوعيد ، والذي أذن اللّه تعالى فيه بالحرب ، ولئن كان لم يبينه لعمر ، فقد بينه لغيره ، وليس عليه أكثر من ذلك ، ولا عليه أن يبين كل شيء لكل أحد ، لكن إذا بينه لمن يبلغه فقد بلغ ما لزمه تبليغه) . اهـ .

وللحديث بقية إن شاء اللّه تعالى .

باب السيرة

وقفات مع القصة في كتاب الله

يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر

بقلم الشيخ
عبد الرازق السيد عيد

الحمد للَّه رب العالمين ، خضعت رقاب العباد لقهر ربوبيته ، وتعلقت قلوب الموحدين لجلال ألوهيته ، فهو سبحانه الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم .

وبعد ؛ فهذا لقاؤنا الثالث مع قصة نبي اللَّه يوسف ، عليه السلام ، تجاوزنا به حدود الزمان والمكان ، ووقفنا عند بيت عزيز مصر لحظة دخول يوسف ، عليه السلام ، إليه ، ونترك الحديث الآن لكلام رب العالمين يصورٍ لنا ذلك المشهد العظيم ويعقِّبُ عليه .

قال تعالى : ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث واللَّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف : ٢١] .

هكذا انتهى حسد إخوة يوسف لأخيهم ، ووقع ما كان يخشاه أبوهم (يعقوب) ، عليه السلام ، حين حذر يوسف من قبل قائلا : ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ [يوسف : ٥] .

وقد كاد الشيطان فعلاً ونزغ بين إخوة يوسف وتآمروا جميعًا ماعدا (بنيامين) الأخ الشقيق ليوسف ، أما الباقون فهم إخوة ليوسف ، وبنيامين لأب ، تآمر الإخوة لأب على يوسف ، فقالوا : ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾ [يوسف : ٩] .

هكذا زين لهم الشيطان حتى باتوا مقتنعين بهذا الإثم المبين ، وأوقعهم الشيطان في هاوية الضلال ، ومع ذلك اتهموا أباهم بالضلال ، وظنُّوا أنهم بفعلهم هذا سيصيرون إلى صلاح ، وكما زين الشيطانُ للناس باطلهم فهؤلاء المؤمنون أبناء الرسل وقد وقعوا فريسة للشيطان ، كما نزغ الشيطان

من قبل بين ابني آدم ، عليه السلام ، ونزغ في قلب ابن نوح فتنكب طريق أبيه واختار الضَّلالة على الهدى ، وكما نزغ في قلب امرأة نوح وامرأة لوط فخالفتا منهج أنبياء اللّه .

وكما نزغ الشيطان في قلب والد إبراهيم فخالف منهج اللّه ، وكما نزغ الشيطان بعد ذلك في قلوب مخالفي الرسل على مرِّ التاريخ ، ومنهم قريش عندما تآمروا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين ﴾ الآية [الأنفال : ٣٠] ، وهذا وجه من وجوه التشابه بين نبينا محمد وأخيه يوسف ، عليهما الصلاة والسلام .

حيث كاد إخوة يوسف لأخيهم ، كاد أقرب الناس من نبيِّنا محمد صلى اللّه عليه وسلم له .

وكاد إخوة يوسف بأخيهم لإبعاده عن وجه أبيهم .

فماذا كان عاقبةَ كيدهم ؟ ها هو يوسف ، عليه السلام ، في بيت عزيز مصر ويوصي به سيده خيرًا ؛ لأنه استبشر فيه خيرًا وآنس فيه نجابةً وفطنةً ، وهنا يسمح لي أخي القارئ بوقفة مع تعقيب اللّه سبحانه وتعالى على هذا المشهد : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾ ، وهذا التعقيب الأول والناظر إلى الأمر بملابساته المادية يرى يوسف ، عليه السلام ، وقد صار رقيقًا وعبدًا مملوكًا مهما يكن من أمر إكرام سيده له وإحسانه إليه ، فهو أولاً وأخيرًا عبد مملوك ، لكن اللّه يقول : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾ ، فأين هذا التمكين في الأرض ؟ تأتي الإجابة في التعقيب الثاني : ﴿ واللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وهذا التعقيب عليه مدار القصَّة كلها ، بل عليه مدار الأمر كلِّه ، فإن الأمر كله للّه ، واللّه سبحانه يسير الأمور بقدرته ويضعها حيث يشاء بعلمه وحكمته .

فعندما كاد إخوة يوسف لقتل أخيهم غلب أمر اللّه كيدهم وجعلهم يُلقونه في الجب ، وعندما أرادوا أن تأخذه القافلة ، وتذهب به بعيدًا فلا يُعرف له أثر ، ويُطوى أمره في عالم النِّسيان ، أراد اللّه أن يقع يوسف ، عليه السلام ، في يد عزيز مصر ، وعندما أرادت امرأة العزيز أن تجرَّ يوسف ، عليه السلام ، إلى مستنقع الرذيلة غلب أمرُ اللّه فأنقذه منها ، وعندما تآمر القوم عليه وألقوه في السجن غلب أمر اللّه ، وجعل السجن طريقًا إلى خزائن مصر .

أرأيت أخي العزيز كيف كان دخول يوسف إلى بيت العزيز بداية التمكين له في الأرض ؟ لأن اللّه غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فالمشكلة أن أكثر الناس لا يعلمون ؛ لأنهم لا يؤمنون ، وإذا آمنوا فهم لا يصدِّقون حق التصديق ، ومن تتبع قصص الأنبياء عَبْر مراحل التاريخ يرى هذا القانون الإلهي واضحًا جليًّا ، فكما ظهر في قصة يوسف ، عليه السلام ، ظهر من قبل في قصة أبيه إبراهيم ، وفيمن سبقه من الأنبياء والرسل ، وظهر من بعدُ في قصص الأنبياء والرسل ، ولنأخذ مثالين فقط على سبيل التمثيل لا الحصر من قصة موسى ، عليه

السلام ، وقصة محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي قصة موسى ، عليه السلام ، غلب أمر الله فولد موسى رغم حصار فرعون ، وألقي موسى في اليم وهو رضيع لتكون النجاة بأمر الله ، فيأخذه عدو الله وعدوه ليتربى موسى في بيت عدوه ، فانظر كيف غلب أمر الله فاستحال الضعف إلى قوة .

ويكون هلاك فرعون في النهاية على يد من تربى في بيته ، وهو لا يدري ولا يعلم ذلك ؛ لأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وعندما تآمرت قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سجنه أو إخراجه من الأرض غلب أمر الله فجعل له من الضيق فرجًا ومخرجًا ، ونصره سبحانه وهو في الغار ، فأعمى عنه العيون المتربصة ، وجعل له من الهجرة نصرًا ، ومكنه من رقاب أعدائه يوم بدر ، وأعاده من حيث أخرجوه فاتحًا منتصرًا يوم الفتح الاكبر ، وصدق الله : ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، وكذب الذين يشكون في ذلك فهم لا يعلمون .

والآن نحن أحوج ما نكون إلى اليقين الكامل بهذا القانون الإلهي عقيدة وسلوكًا : ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

فالله سبحانه وتعالى رب إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى ورب محمد ورب الأنبياء والرسل جميعًا ، هو ربنا وهو رب جميع الناس ، وهو سبحانه الذي غلب أمره فيما مضى ، وهو سبحانه الغالب على أمره الآن ومستقبلا وفي كل وقت ، سواء أحطنا به أم لم نحط بعلمه ، فكما أنه سبحانه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انتهاء ، فهو سبحانه الغالب على أمره بلا ابتداء وبلا انتهاء .

نحن في أمس الحاجة إلى هذا اليقين على مستوى الأفراد والجماعات ، كم نحن في أمس الحاجة لهذا اليقين ، وقد أحاطت بنا مضلات الفتن من كل جانب ، وليس لها من دون الله كاشفة ، الطائعون في حاجة إلى هذا اليقين حتى يزداد إيمانهم فيما عند الله ، فيكونون أوثق به مما في أيديهم فيعملوا بجد واجتهاد متأسين بأنبياء الله بغير حزن على ما مضى ، ولا خوف على مستقبل هو آت ، يعملون بصبر وثبات ، يبذلون ما يستطيعون ، ويتوكلون على الله فيما لا يملكون ، ولا يحملون أنفسهم ما لا يطيقون ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فلا يأس ولا قنوط ، ولا شطط ، ولا غرور ، ولا استعجال للنتائج .

والعصاة في حاجة إلى التذكرة بهذا القانون الإلهي العظيم ، فلا يغترون بحلم الله عليهم ، ويعلمون أن الله محيط بهم ، وأنهم في قبضته ، وأنهم إليه راجعون ، فإذا علموا ذلك لا يتجرءون على معصية الله ، ولا ينتهكون حرمات الله جهارًا نهارًا ، ولا يحاربون الله في شرعه سرًا وإعلانًا ، فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وحسبنا من هذه الوقعة ذلك الدرس ، وإذا وعيناه انتفعنا به في ديننا ودنيانا .

اللهم ألهمنا رشدنا ، وقنا شر أنفسنا ، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى ، فإلى لقاء .

لا يا مفتي اللواء الإسلامي !!

وشهد شاهد من أهلها !!

بقلم / السيد محمد مزيد

طالعتنا جريدة اللواء الإسلامي في عددها (٨٢٧) ، الصادر بتاريخ ٢٧ رجب ١٤١٨ هـ ، ٢٧ نوفمبر ١٩٩٧ م في باب الفتاوى ، وكان المفتي الشيخ / محمد السنراوي من علماء الأزهر الشريف ، والسؤال حكم التوسل بالأنبياء والأولياء ؟ فقال الشيخ في إجابته وفتواه : التوسل بالأنبياء والأولياء جائز لا شك فيه .. إلى أن قال : أما الذين نفوا الوسيلة بالأنبياء فهم السطحيون الذين لا يعرفون أن الوسيلة هي أن تتبع القرآن والسنة وسير الصالحين هو الصراط المستقيم .

بادئ ذي بدء السطحيون هم المخالفون لك في الحكم الذين يرون أن التوسل بالأموات مهما كانوا أنبياء أو أولياء غير جائز ، بل هو بدعة ، ولم يرد في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ما يؤيد رأيك المخالف لإجماع سلف الأمة الصالحة ، رضوان الله عليهم .

اعلم يا فضيلة الشيخ أن التوسل نوعان : مشروع ، وممنوع ؛ أما التوسل المشروع فهو التوسل بأسماء الله وصفاته ، والتوسل بالعمل الصالح ، والتوسل بدعاء الرجل الصالح ، أما التوسل الممنوع فهو التوسل بالأموات عمومًا سواء كانوا أنبياء أم أولياء ، والتوسل بالعمل الصالح لا بد أن يتوفر فيه أمران :

الأول : أن يكون صاحبه قصد به وجه الله عز وجل .

الثاني : أن يكون موافقًا للشرع الحنيف .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره : وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصًا لله وصوابًا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مثل هذا القاضي عياض رحمه الله .

ولا تغتر بحديث توسل آدم ، عليه السلام ، بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما اقترف آدم ، عليه السلام ، الخطيئة فقال عنه الذهبي ، رحمه الله : موضوع وعبد الرحمن واه ، وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا .

وقد اتفق عند التحقيق كلام الحافظ ابن تيمية والذهبي والعسقلاني على بطلان الحديث ، وتبعهم في ذلك غير واحد من المحققين كالحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله وغيره .

والذي يؤخذ على جريدة اللواء الإسلامي وبعض الصحف الإسلامية الأخرى أن كل مفتي بالجريدة يخالف الآخر ، بل ربما كتبت فتوى في عدد وجاء في عدد آخر بحكم أو برأي يخالف هذا الكلام ، والدليل على صدق قولي في عدد اللواء الإسلامي رقم ٧٩٨ الصادر في غرة المحرم ١٤١٨ هـ ٨ مايو ١٩٩٧ م ، وفي لقاء مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد أدلى بحوار صحفي على صفحات هذه المجلة - أعني جريدة اللواء الإسلامي - وفي سياق كلامه عن التوسل بالأموات قال ما نصه : (وعلى ذلك فالتوسل بالميت لا يجوز ، والعامة لهم تفكيرهم وهم يفعلون أشياء لقصور في الفهم عندهم ، فمنهم من يتوسل بالميت أو يذبح له أو ينذر له ، وهذه كلها أشياء لا تجوز إلا لله تعالى ، والوسيلة لا تكون إلا لله مادام فتح لنا بابه الواسع لماذا نتوسل بغيره) . اهـ .

فيجب على الصحف والمجلات والجرائد الإسلامية أن توحد الفتوى حتى لا ندع الشباب الباحث عن الحقيقة في قلق وحيرة يصدق من ويكذب من .

يا مفتي اللواء :

هل تعتبر شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد والذي نهى عن التوسل بالأموات من السطحيين !!؟؟

وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الصوفية المعاصرة ووحدة الوجود

بقلم أ / محمود المراكبي

الحمد للَّه وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فتقوم عقيدة الصوفية - في بساطة متناهية - على الإطراء والغلو في شأن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحد الذي ذهبت إليه النصارى في عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، والدليل على ذلك نعرضه من أوراد القوم ، ولنستدرك على كلام الشيخ / محمد زكي إبراهيم (رائد العشيرة المحمدية) ، وهو داعية من دعاة إصلاح التصوف ونبذ الشطط عنه ، وله صولات وجولات في هذا المجال ، ورغم تقديري للشيخ على جهده في مجال إصلاح التصوف ، فقد توقفت عند إجابته على سؤال وجه إليه عن تعارض عقائد الصوفية مع عقيدة التوحيد ، وما هو رأي الشيخ في عقائد الحلول والاتحاد والوحدة ؟

فأجاب الشيخ قائلاً : (أما أن التصوف يدعو إلى عقائد الحلول والاتحاد والوحدة ، فليس هذا هو تصوف المسلمين ، وإنما هو تصوف أجنبي أعجمي مدسوس ، والمتهمون به نفر معدود محدود ، انتهى أمره ، وليس لهم اليوم تابع ولا وارث ، وأصبح ما نسب إليهم بحق أو بباطل نوعًا من الحفريات التاريخية ، التي لا يتابعها إلا الهواة والمتخصصون ، إن وجد اليوم هواة ومتخصصون في البحث عن مقابر الأفكار المهملة ، وإلا أصحاب الهوى الذي يعمي ويصم ، ولا اعتبار لأولئك ولا هؤلاء ، وقد أصبح الكلام في هذا الجانب نوعًا من مجرد الإثارة والتشويه ، والعبث وإضاعة الأوقات والتشويش على أفاضل الناس ، وشراء العاجلة بالآجلة) .

ويمكن أن نختصر كلام الشيخ في النقاط التالية :

١- إقرار الشيخ أن عقيدة وحدة الوجود تخالف عقيدة المسلمين بل هي مدسوسة عليهم .

٢- المتهمون به نفر محدود في التاريخ الغابر انتهى أمرهم .

٣- لا يوجد اليوم من الصوفية المعاصرين من يعتقد هذه الأباطيل .

٤- أن الحديث عن هذه الأفكار نوع من البحث عن الآثار في مقابر الأفكار .

٥- أن المنشغلين بهذه الأمور مغرضون لا اعتبار لهم ، فهم أصحاب هوى أعماهم وأصمهم ، وحديثهم نوع من الإثارة والتشويش ، وأن هؤلاء المغرضين يضيعون الوقت ، ويتعرضون لأفاضل الناس ، ويشترون العاجلة بالآجلة .

ونستعين بالله تعالى وحده ونثبت للشيخ أنه لا يعلم ما في أوراد الصوفية المعاصرين ، وأن الأمر على حقيقته أخطر بمراحل مما يظن الشيخ ، ونعتقد بتوفيق الله تعالى بعد أن قدمنا للقارئ الكريم أفكار أئمة الصوفية في مقالاتنا السابقة

أننا نستطيع أن نعرض دراسة لأشهر أوراد الصوفية للطرق المعاصرة التالية لبيان حقيقة ما ذهب إليه رائد العشيرة المحمدية في إجابته ، ولنرى حجم الكارثة التي لا يراها الشيخ ، وهو عضو مجلس الصوفي الأعلى ، ومن مسئولياته مراجعة هذه الأوراد وإجازتها ، والبيان التالي يمثل الطرق الصوفية التي اتسع المقام لدراستها وتحديد النصوص الدالة على اعتناق زعمائها لعقيدة وحدة الوجود وبيانه كالتي :

١- الحقيقة المحمدية : نفحات في الصلاة على الرسول الأعظم .

٢- الخلوتية العونية : المحامد العونية في الصلاة على خير البرية .

٣- الخلوتية البكرية : مجموع صلوات وأوراد مصطفى البكري .

٤- الطريقة القادرية : الفيوضات الربانية في المآثر القادرية .

٥- الطريقة الشاذلية : أوراد الطريقة الشاذلية للشيخ عبد الفتاح القاضي .

٦- الفاسية الشاذلية : الأحزاب والوظيفة والياقوتة وصلوات الفاسي .

٧- الحامدية الشاذلية : الأوراد الحامدية الشاذلية .

٨- الطريقة البرهانية : تبرئة الذمة في نصح الأمة .

٩- الجعفرية الإدريسية : كنز السعادة والإرشاد للمعالي .

١٠- الطريقة الإدريسية : أحزاب وأوراد قطب دائرة التقديس .

١١- الختمية الميرغنية : مجموع راتب الميرغني .

١٢- طريقة أبي العزايم : نيل الخيرات بمداومة الأدعية والاستغاثات .

١٣- الطريقة الأحمدية : مجموع الأوراد الأحمدية .

١٤- الطريقة الخلوتية : مجموعة الأوراد الكبير ، صلوات أحمد الدردير .

١٥- دلائل الخيرات : مجموعة صلوات يقرؤها كثير من أتباع الطرق .

١٦- صلوات الشيخ الأكبر : ابن عربي وتقرؤها عدة طرق صوفية .

١٧- الطريقة الدسوقية : تائية إبراهيم الدسوقي .

١٨- الطريقة التيجانية : أوراد التيجاني .

١٩- الطريقة الرفاعية : مجموع الأوراد الكبير .

ونعرض فيما يلي نصوص كل طريقة على حده ، وسيرى المتتبع لمقالاتنا السابقة أنها واضحة الدلالة ولا تحتاج منا إلى تعليق أو شرح كبير ، أما من لم يتابع ما نشرته مجلة التوحيد في الأعداد السابقة ، فليطالع سلسلة كتبنا عن الظاهر والباطن ، وخاصة الكتاب الرابع عن عقائد الصوفية ، والله من وراء القصد وهو يهدى إلى سواء السبيل .

أولا طريقة الحقيقة المحمدية

ولعل هذا أوضح مثال نضربه في هذا الشأن . فقناعة شيخ الطريقة محمد بن صالح الحسيني العدوي بفكرة قدم النور المحمدي جعلته يسمي طريقته بهذا الاسم ، ويقول الرجل في أوراده التي كتبها مقلدًا فيها الحلاج ومن تبعه من أصحاب الوحدة : اللهم صل وسلم وبارك على

سيدنا محمد الذي خلقت نوره من نور ذاتك بلا واسطة ، وخلقت من نوره جميع مكوناتك ، فكل به قائم ، الذي فتقت به رتق الوجود ، وأحييت به الكائنات ، وعين عنايتك الأزلية الأبدية ، ومبدأ الأشياء ظاهرًا وباطنًا ، ونهايتها سرًّا وعلانية ، الذي لاح جماله في القِدَم وأشرق نوره في الوجود بلا عدم ، نور اللّٰه الذي لا يطفأ .

ويستطرد قائلاً عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : إنه الروح الأعظم في صورة إنسان ، والبرزخ الفاصل بين الحدوث والعدم ، المختص بالمعراج الذاتي ، والمشاهدة والمكالمة والنيابة العظمى ، قبضة النور التي تفرع عنها من الكائنات كل موجود ، الذي تم فيه مظهرك التام بكل زمان ومكان ، وأعطيته سر كن فدخلت تحت تصرفه الأكوان ، السابق للخلق نوره ، والرحمة للعالمين ظهوره ، سبب وجود الوجود ، وتكوين الأكوان ، وترجمان الأزل والأبد ، سر الوجود وجود الوجود ، النور الذاتي والسر المنزه الساري في جزئيات العالم وكلياته ، أسمى ما يصح أن يشمله اسم الوجود ، إنسان عين الموجودات ، نورك الأعظم وكمالك الأقدم وجمالك الأكرم ، الذي خلقت جميع الأنوار من نوره ، مفتاح إغلاق كنز الوجود ، خاتم دورات الأنوار .

أعتقد أن عبارات الشيخ واضحة الدلالة ، ولا تحتاج إلى تتبع وتعليق .

ثانيا الطريقة الخلوتية العونية العيونية :

والطريقة فرع من الطريقة الخلوتية ، وسميت بالعونية نسبة إلى شيخها / محمود أفندي عنوي - وهو واضع كتاب الأوراد ، المسمى « المحامد العونية في الصلاة على خير البرية » - ثم بالعيونية نسبة إلى تلميذه الشيخ / إبراهيم أبو العيون عميد عائلة أبي العيون في أسيوط ، جاء في أوراد الطريقة نصوص عديدة تدندن حول وحدة الوجود ، والحقيقة المحمدية وقِدَم نور اللبي صلى اللّٰه عليه وسلم نختار منها صفحة (١١) :

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب القبضة الأصلية الطاهرة : الفاخرة السنية الباهرة ، التي قلت لها : كوني حبيبي محمدًا ، فصارت عمودًا من النور وتشعشعت وارتفعت بسر تكوينك وقدرتك ، واخترقت جميع حجب عظمتك ، وتساقطت منها قطرات عدد أنبيائك فخلقتهم وخلقت كل نبي منهم بقطرة فهم منه وإليه .

وهذا النص أوضح من نصوص أوراد الطريقة السابقة ، حيث لم يستخدم الشيخ لفظة : (خلق) في إيجاد نور النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، وإنما جاء نور النبي صلى اللّٰه عليه وسلم من القبضة الأصلية أي من نور اللّٰه تعالى ، ولما قيل لهذه القبضة : كوني حبيبي محمدًا ، صارت عمودًا من النور وتشعشعت وارتفعت بسر كونك فيها ، حيث أن طبيعة القبضة هي ذاتها طبيعة المقبوض منه ، وبالتالي تمكنت هذه القبضة من اختراق حجب عظمة اللّٰه تعالى ، فهي متصفة نفس صفات الإله وإلا ما استطاع نور المخلوق أن يخترق نور الخالق ، ويقول الشيخ / محمود أفندي عوني صفحة (٢٤) :

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد نقطة وحدة الوجود وأصل الموجودات ، والنص السابق يعد أدق تلخيص لنظرية الإنسان الكامل للجيلي ، كما أشرنا في مقالنا السابق عن عبد الكريم الجيلي .

ويقول الشيخ في صفحة (٢٦) من ورد الطريقة : اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد سر الوجود والإيجاد والفناء والبقاء .

وعبارة سر الوجود واضحة القصد ، أما سر الإيجاد فهذا يشير إلى أن الحقيقة المحمدية هي التي تهب للمعلومات الوجود ، فتكون سببًا في إيجادها .

ويقول الشيخ في صفحة (١٣) : اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد إنسان عين عين الكل في حضرة الوحدانية ، أي أن محمدًا صلى اللّٰه عليه وسلم حقيقة ذات الكل في حضرة ليس فيها إلا حقيقة واحدة ؛ لذا سماها الشيخ في

حضرة الوحدانية هذا النص يثبت عقيدتهم أن الوجود الوحيد هو للحقيقة المحمدية ، ويقول أيضًا :

وراء رائي وراء حجب الجلال والكبرياء القيومية ، وحياض الجبروت بوافي صافي فيض أنهار جلال أنواره متدفقة ، ومعناه أن النبي صلى اللّه عليه وسلم رأى ما رواء حجب الجلال والكبرياء أي أنه شاهد ربه مخترقًا جميع الحجب ، وأن حياض الجبروت الإلهي تفيض من أنهار جلال أنوار النبي صلى اللّه عليه وسلم ، أهناك شطط وغلو أكثر من هذا ؟!

ويؤكد نفس المعنى في صفحة (٣٩) : اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد بحر أنوار المهيمن العزيز ، والبحار في النهاية هي بحار الوحدة ، ويقرر ذلك بقوله في صفحة (٥٣) : اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد واسقنا من عين بحر الوحدة الصافية أصفى السلاف .

وجاء أيضًا في المحامد العونية صفحة (٩٧) في قصيدة التوسل بالسادة الخلوتية :

وبنور مشكاة الوجود وسره
إنسان عين الكامل طه نبينا

ويبلغ غلو شيخ الطريقة منتهاه حين يمدح الرسول صلى اللّه عليه وسلم نظمًا فيقول :

سر سرى في الملك والملكوت
النور إنسان عين الكل خير نبي
الأول الآخر المحيي المميت أب
أصل الأصول وعين العين ذو الرتب

ومن أوراد الطريقة ما يتلقاه المريد في الاسم الرابع دعاء آية الكرسي جاء فيه :

من أحب فرقتهم من أنا الأنانية ، ووصلتهم بأسرار الهوية ، حيث يفنى كل شيء بشهود الأحدية والوحدانية ، وبما أبطنته من الأسرار المخفية في باطن غيب الأحدية ، وبما أظهرته من الأنوار الجلية في ظاهر المحمدية .

ثالثًا الطريقة الخلوتية البكرية :

الشيخ مصطفى البكري هو أحد مشايخ الطرق الخلوتية بتفرعاتها المتعددة ، ومنها الطريقة السابقة ، والنصوص التي سنعرضها الآن من كتاب مجموع صلوات وأوراد مصطفى البكري تبرز إيمان الشيخ بوحدة الوجود ، وتدندن حول مفردات هذه العقيدة ، ومنها ما جاء في صفحة (١٩) :

وصلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي ظهر به الوجود والإيجاد .

وفي صفحة (١٣) : وصلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد المتمكن المشاهد للذات ، وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد سر الأزليات والأبديات .

كيف يكون النبي صلى اللّه عليه وسلم سر الأزليات والأبديات إلا من خلال مفاهيم وحدة الوجود ، وأنه صلى اللّه عليه وسلم الحقيقة الواحدة ، ويضيف الشيخ في الصفحة التالية إمكانيات التصريف للنبي صلى اللّه عليه وسلم ، فهو في الحقيقة ليس بشرًا رسولاً كما نفهم ، وإنما هو متصف بصفات الربوبية كما يزعم البكري بقوله في صفحة (٣٣) : وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد المتصرف في جميع الممالك والأملاك ، ونفس المعنى صفحة (٢٦) بقوله : وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي تصرف في الوجود بالطول والعرض .

ويؤكد كلامه ص (٣٧) بقوله :

وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذي أعطى التصريف بالكاف والنون ، اللهم إني أسألك بحق باء اسمك المعنية الموصلة إلى إيجاد أعظم مقصود ، وإيجاد كل مفقود وبالنقطة الدالة على معنى الأسرار السرمدانية والذات القديمة الفردانية . والنص السابق يعود بنا مرة ثانية إلى النقطة .

وللحديث بقية إن شاء اللّه تعالى . وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

معالم تفريخ الإرهاب !!

بقلم الشيخ / مصطفى درويش

الإرهاب لغة : هو إلقاء الرعب والرهبة في القلوب ، حتى قبل أن يتم اللقاء بالسلاح ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللَّه وعدوكم ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

يعني هذا الإعداد يقصد به إرهاب أعداء اللَّه وأعدائكم إذا رأوه أو سمعوا عنه ؛ ولذلك فالوصف الصحيح لهؤلاء الذين يعتدون ويقتلون الناس بغير حق أنهم بغاة ، وعندما يتخذ هذا البغي الإسلام ستارًا ، فالجريمة أشد وأفظع ؛ لأنه تشويه للإسلام على مستوى العالم وصد الناس عنه ، ويكفي أن يقال : إن هذا الإسلام يبيح قتل الناس ، وذلك يتعارض مع دعوة الناس إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا أظن أبدًا أن الخالق الذي مدح قومًا في كتابه لأنهم : ﴿ يطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ، فإذا كان هذا هو التعامل مع الأسير الذي جاء ليقتل ، فكيف يكون التعامل مع سائر الناس !! وهؤلاء البغاة - أو الإرهابيون كما نسميهم - ينقسمون إلى فرق ثلاث :

● **الفرقة الأولى** : وهم الأكثرية ، وهم ضحية المفاهيم الخاطئة والتفسيرات الضالة المغرضة لآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وتصب هذه التأويلات في فراغ ديني لا يمكن لصاحبه أن يميز بين الحق والباطل ، وبين الجهاد والعدوان ، وبين النهي عن المنكر وبين الجريمة ، وبين الدعوة الى اللَّه وبين الفتنة في الأرض ، وقد وجدت من بعضهم من يقول : من يتعاون مع دولة كافرة فهو كافر حلال الدم ، فقلت له : أولاً نحن لسنا دولة كافرة ، وإن وجد بعض التقصير ؛ لأننا نرفع الأذان في أوقاته ، وبيوت اللَّه تمتلئ يوم الجمعة بالمصلين ، وكل الأحكام في مواد الأحوال الشخصية من مواريث وزواج وطلاق وحضانة

ورضاعة وعدة ونفقة وغيرها مأخوذ من الشريعة الإسلامية ، ثم ما قولك في نبي الله يوسف ، عليه السلام ، الذي طلب أن يكون على خزائن الأرض في حكومة الملك !! ولم يجد محدثي جوابًا ، وقال : لقد غاب ذلك عني .

● **الفرقة الثانية** : هم الأمراء والقادة - كما يسمونهم - وهؤلاء أصحاب أغراض شخصية في هذه الإمارة ، وكثيرًا ما يخططون ويبتعدون عن مصادر الخطر .

● **الفرقة الثالثة** : مصادر التمويل ؛ وهي يهودية صليبية ، ولها أهداف دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية على رأسها :

أولاً : شل جهاز الأمن في البلد وشغله وإظهاره بمظهر الضعف وفقد السيطرة ، وذلك لتحقيق باقي المآرب .

ثانيًا : تحويل الأمة إلى فرق متناحرة متضاربة متصارعة .

ثالثًا : ضرب الناحية الاقتصادية لينعكس أثرها على الأمة ككل .

واليهود لا بد أن يحاربوا ؛ إما حربًا معلنة ، وهم يعلمون القوى التي تساندهم ؛ لأن أمريكا التي تهدد وتتوعد العراق لوجود أسلحة دمار شامل - كما يقولون - لم تفعل شيئًا مع إسرائيل التي رفضت التوقيع على معاهدة انتشار الأسلحة النووية !!

من الذي وراء عشرات الأطنان من المخدرات التي تتسلل إلى البلاد ؟ اليهود ، من الذي وراء الإفساد الأخلاقي ونشر مرض الإيدز في البلاد ؟ اليهود ، من الذي أرسل طرود الهدايا الملغمة لقتل الخبراء الألمان في مصر ؟ اليهود ، وكلها حروب غير معلنة .

وأخوف ما يخاف منه اليهود وجود جهاد إسلامي حقيقي صادق ضدهم ؛ ولذلك هم أصحاب الوقيعة بين المجاهدين الإسلاميين في فلسطين ، وبين منظمة التحرير الفلسطينية .

والجانب الأكبر الذي يهمنا في الداخل هم الضحايا ، أو الطائفة الأولى الذين وقعوا في المفاهيم الخاطئة للإسلام أين تكمن معامل التفريخ لهم ؟

● **أولا** : منذ أكثر من خمسة عشر سنة ونحن ننادي بتحديث التعليم ، حتى تم إلغاء دور المعلمين التي كانت تخرج حفظة القرآن والسنة والمعارف الدينية الحقيقية للتدريس في المدارس الابتدائية ، واستبدلنا بها ما يسمى بكليات التعليم الأساسي ، فهل قمنا بتعليم أطفال الابتدائي والإعدادي وغيرهم المفاهيم الدينية الصحيحة !! وهل اعتبرنا هذه

المفاهيم مادة أساسية تدرس لطلبة الابتدائي والإعدادي جميعًا على أنها عقيدة وسلوك للمسلم وثقافة لغير المسلم وجعلناها مادة نجاح ورسوب !!؟؟

لو فعلنا ذلك لأخرجنا جيلاً لا يمكن أن يكون ضحية الإرهاب ، وهو مسلح بالمفاهيم الدينية الصحيحة ، ولكننا بتحديث التعليم - كما يقولون - أخرجنا عبقريات في الرقص والغناء والموسيقى !! أخرجنا جيلاً ذا فراغ ديني من السهل أن يقال له : إن قتل رجل السلطة جهاد في سبيل الله ، وقتل الأجنبي نهي عن المنكر ، والاعتداء على غير المسلم تدعيم للإسلام !!

لقد اتجهنا إلى العلاج الأمني وحده ، وتركنا معامل تفريخ الإرهاب تفقس وتخرج .

لقد وقفت مع تلاميذ ابتدائي فوجدتهم يتقنون فن الباليه والعزف الموسيقي ، فسألتهم : ما حكم الإسلام في قتل رجال السلطة والأجانب وغير المسلمين ؟ فقالوا : لا ندري !!

تحديث التعليم أن نعلّم التلاميذ المخترعات الحديثة والعلوم الحديثة وغيرها ، ولكن يجب قبل كل شيء أن يؤسسوا وأن يتسلحوا بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة .

هل علمنا التلاميذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكونوا عصابات لاغتيال الكافرين ، بل كانوا دعاة يتحملون الأذى في سبيل الله !!

هل علمنا أبناءنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حارب اليهود في خيبر وغيرها ، دولة أمام دولة وجيش أمام جيش ، هو نفسه الذي زار جاره اليهودي المريض !!

هل علمنا أبناءنا أن رسول الإسلام نهى عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ في الحروب حتى نقتلهم نحن في السلم !!؟؟

أشياء كثيرة من المفاهيم الإسلامية غابت عن أولادنا في الابتدائي والإعدادي وغيرها .

● **ثانيًا** : معمل التفريخ الثاني هو القبض العشوائي تحت ظل الاشتباه والإجراء الوقائي ، ثم الزج بهم في السجون ، وهناك يتم اللقاء بالقادة ، وهي الفرصة لصب المفاهيم الخاطئة للإسلام ، فيخرج من السجن حاقدًا على المجتمع ، راغبًا في الانتقام ، ويريد تنفيذ ما تلقاه من دروس ، والحل أن يتم في السجون التهذيب والإصلاح وتصحيح المفاهيم عن طريق مجموعات توعية على وعي كامل بالمفاهيم الإسلامية ، ثم تتم عملية تصفية وإبقاء المحكوم عليهم وأصحاب الخطورة .

● **ثالثًا** : ومن معامل التفريخ ما تفعله بعض الصحف من نشر الانحرافات الأخلاقية والانحرافات المالية بالملايين ، والحفلات الراقصة وحفلات الزواج التي تتكلف الملايين ، وما فيها من إنفاق باهظ ، كل ذلك يتعارض مع شباب جاعت أسرته لتوفر له سبل التعليم ، وفي النهاية يجد نفسه في عرض الطريق مازال يشكل عبئًا على الأسرة الفقيرة ، ليس أمامه إلا الانحراف في المخدرات ، أو الانضمام إلى سلك الإرهاب تحت اسم التعاون على البر والتقوى !!

ماذا يفعل شاب جاعت أسرته لتوفر له ثمن الكتب ، ثم يقرأ عن راقصة اصطلحت مع مصلحة الضرائب ودفعت مليونًا ونصف !!

كثير من الشباب انصلح حالهم لما ذاقوا الرزق الحلال ، وكثير من الشباب يؤثرون أي أوضاع على ما هم فيه من معيشة ضنك .

● **رابعًا** : ومن معالم التفريغ بعض المساجد التي فقدت الأئمة والدعاة الواعين ولا يسمع فيها دروس التوعية بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة لا تسمع فيها إلا الجنة التي لا يدخلها إلا الذي يربط بطنه من الجوع ، أو يسيل دمه جهادًا في سبيل اللَّه ، أو يغير المنكر بأي طريقة كانت ، إما هذا أو النار التي ثعبانها طوله أربعين مترًا !! كأن الإسلام بعيد عن الحياة اليومية ، وعن المجتمع والناس !!

● **خامسًا** : ومن معالم التفريغ أيضًا ؛ التلفزيون وأمره عجيب ، لماذا هذا السهر المتواصل هل نحن أمة ينبغي أن تسهر بالليل وتنام بالنهار ؟ ثم ما هذا التناقض : برنامج عن الرقص شبه العاري ، ثم يقطع الإرسال ويقال : حان الآن وقت الأذان ، ثم ينتهي الأذان وبعده حديث عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، ثم نواصل البرنامج الراقص ، ثم هذا المخنث الذي ينتقل بمكبر الصوت بين الراقصات والعاريات ويسلط عليهن الأضواء ، وقد سيطر عليه إحساس أنه فنان كبير خفيف الظل !!

ما الذي فعله التلفزيون في سبيل تصحيح المفاهيم الدينية ومناقشة قضايا الشباب ، هل القضايا هي قضايا الغناء والإخراج والسينما والمسرح ؟ هل فكرنا في تسليط أضواء يومية على حكم الإسلام فيما حدث واستفتينا العلماء الكبار يوميًا لتصحيح المفاهيم ؟ أم يكتفي التلفزيون عندما يسمع عن جنازة أن يشبع فيها ندبًا ولطمًا دون أن يلتفت إلى الأسباب وعلاجها !!

● **سادسًا** : هناك قيادات دينية موضع تقدير واحترام من الناس ، والناس يلتفون حولها في خطب الجمعة والندوات والمحاضرات ، وهذه القيادات لها تأثير كبير يفوق تأثير القيادات الدينية الرسمية ، وهذه القيادات لا يمكن أن تدعوا إلى إرهاب أو تشجع على جريمة ، وإلا لنفر الناس منها ، وميدان عمل هذه القيادات المساجد فقط ، وتعتبر رئات يتنفس فيها الشباب وعمل هذه القيادات ينتهي عند خطبة الجمعة أو المحاضرة والإجابة على الأسئلة ، وحجب هذه القيادات عن الشباب لأي سبب يجعل الشباب يبحث له عن متنفس آخر ، وقد يكون في هواء غير نقي ؛ لأن منع الظاهر معناه العمل في الباطن وإغلاق صنبور الماء العذب معناه اللجوء إلى البرك والمستنقعات ، وعيب كبير أننا نسلط الأضواء على قيادات الرقص والغناء والتمثيل والإخراج ونذكر دائما شعبيتهم وحب الجماهير لهم ، ونترك القيادات الدينية دون أي اهتمام .

والعجيب أننا وضعنا هذه القيادات تحت رقابة وأحصينا كلماتها ، فكانت النتيجة أننا شغلنا عن ساحات الإجرام الحقيقي للإرهابيين ، وعيب أن يكون في سماء مصر نجوم للرقص والتمثيل والموسيقى والإخراج وليس فيها نجوم لدعوة الإسلام !!

هذا ما أحببت أن أقوله للَّه تعالى ، راجيًا عفوه ، وباللَّه تعالى التوفيق .

مصطفى درويش

سوء الخلق (1)

مظاهره - أسبابه - علاجه

بقلم / عبد الغني فتح الله

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وبعد ،

، فإن شأن الأخلاق عظيم ، وإن منزلتها لعالية في الدين ، فالدين هو الخلق ، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا ، وأحسنهم أخلاقًا أقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة مجلسًا ، بل إن الناس على اختلاف مشاربهم يُحبون محاسن الأخلاق ، ويألفون أهلها ، ويبغضون مساوئ الأخلاق ، وينفرون من أهلها .

ومع عظم تلك المنزلة لحسن الخلق ، إلا أن كثيرًا من المسلمين قد فرطوا في هذا الجانب ، فلم يلقوا له بالاً ، ولم يعيروه اهتمامًا ، فساءت أخلاق كثير منهم ، وشاعت مظاهره في صفوفهم ، فأصبحوا بذلك فتنة لغيرهم ، خصوصًا ممن يريد الدخول في دينهم ، وذلك عندما يرى البعد السحيق والبون الشاسع بين حال المسلمين وبين ما يدعوهم إليه دينهم .

مظاهر سوء الخلق

وسوء الخلق يأخذ مظاهر عديدة وصورًا شتى ، فمن ذلك ما يلي :

١- **الغلظة والفظاظة** فتجد من الناس من هو فظٌّ ، لا يتراخى ولا يتألف ، ولا يتكلم إلا بالعبارات النابية ، التي تحمل في طياتها الخشونة والشدة والغلظة والقسوة ، ومن الناس من لا تراه إلا عابس الوجه ، مقطب الجبين ، لا يعرف التبسم واللباقة ، ولا يُوَفَّق للبشر والطلاقة ، بل إنه ينظر إلى الناس شزرًا ، ويرمقهم غيظًا لا لذنب ارتكبوه ، ولا لخطأ فعلوه ، وإنما هكذا يوحي إليه طبعه ، وتدعوه إليه نفسه .

٢- *سرعة الغضب* وهذا مسلك مذموم في الشرع والعقل ، وهو سبب لحدوث أمور لا تحمد عقباها ، فكم حصل بسببه من قتل وطلاق ، وفساد لذات البين ، ونحو ذلك مما ينتج من الغضب ، فمن وفق لترك الغضب أفلح وأنجح ، وإلا فلن يصفو له عيش ، ولن يهدأ له بال ، ولن يرتقي في كمال .

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلا من طبعه الغضب

٣- *الغيبة* تلك الخصلة الذميمة التي لا تصدر إلا من نفس ضعيفة وضيعة دنيئة ، والمغتاب يريد التسلق على أكتاف الآخرين ، وذلك بالحط من أقدارهم وتزهيد الناس بهم ، وما علم هذا المسكين أن الرافع الخافض هو الله عز وجل ، وأنه بصنيعه يهدي حسناته ، وهي أعز ما يملك لمن يقع في عرضه .

٤- *النميمة* والنميمة كالغيبة ، من حيث إنها لا تصدر من نفس كريمة ، وإنما تصدر من نفس مهينة

●● نجد من الناس من هو فظ لا يتراخى ولا يتألف ، ولا يتكلم إلا بالعبارات النابية التي تحمل في طياتها الخشونة والشدة والغلظة والقسوة .

●● هناك من يتعامل مع سائر الناس بأدب ودقة ، فتراه في المجالس بشوشًا ، حسن الخلق ، فإذا ما دخل المنزل تبدلت حاله ، وذهبت وداعته ، وتولت سماحته وحلت غلظته فانقلب أسدًا هصورًا على زوجته !!

ذليلة ، أما الكرام فإنهم يترفعون عن مثل هذه الترهات .

٥- *السب والبذاءة* فتجد من الناس من يملك قاموسًا من البذاءات والسخافات والحماقات ، يستخدمه ضد عباد اللّه لمجرد خلاف في أمر من الأمور ، وهو مسلك سيئ وخلق وضيع في الشرع والعقل لا يليق بمسلم .

٦- *قلة الحياء* فالحياء خلق يبعث على فعل الجميل وترك القبيح ، فإذا عَرِي الإنسان منه ، وعَطِل من التحلي به ، فلا تسل عما سيقترفه من رذائل ، ولا يبالي بسفول قدره ولا يجد ما يبعثه للفضائل ، ولا ما يقصره عن الرذائل .

٧- *البخل* فالبخل من مساوئ الأخلاق ، ومن المخلات بالدين والمروءة ، وهو ما يجلب الشقاء لصاحبه في الدنيا والآخرة ، والبخيل بعيد عن اللّه ، بعيد عن خلق اللّه ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار ، والبخيل ضيقُ الصدر ، صغير النفس ، قليل الفرح ، كثير الهم والغم ، لا تكاد تُقضى له حاجة ، ولا يعان على مطلوب .

٨- *اخلاف الوعد* فإخلاف الوعد من الصفات الذميمة ، ومن الخصال المرذولة ، فهو شعبة من شعب النفاق ، وآية من آياته ، ولقد ابتلي بهذه الخصلة كثير من المسلمين ، فما أقلَّ الوفاء بالوعد ، وما أكثر الخلف فيه ، حتى خُيِّل لكثير من المنهزمين أن الخلف من صفات المسلمين ، وأن الوفاء بالوعد وإنجازه من صفات الكافرين !! حتى إن بعضهم إذا أراد تأكيد الموعد قال : أعطني وعدًا إنجليزيًا !!

٩- *سوء العشرة الزوجية* فهناك من يتعامل مع سائر الناس بأدب ورقة ، فتراه في المجالس بشوشًا ، حسن الخلق ، ينتقي من الكلام أطايبه ، ومن الحديث أعذبه ، فإذا ما دخل المنزل تبدلت حاله ، وذهبت وداعته ، وتولت سماحته ، وحلت غلظته وبذاءته وفظاظته ، فانقلب أسدًا هصورًا على زوجته الضعيفة المسكينة ، ولا ريب أن هذا الصنيع دليل على ضعة النفس ، وحقارة الشأن ، وضعف الإيمان ، وإلا فإن الحازم العاقل ذا الدين والمروءة يتودَّدُ لأهله ، ويتعطفُ عليهم ، ويحسن معاشرتهم ، وفي المقابل نجد أن بعض الزوجات لا تحسن التبعل لزوجها ، ولا تقوم بحقوقه كما أراد اللّه منها ، بل تراها تسيء الأدب معه ، وترفع صوتها عليه ، وتثقل كاهله بكثرة الطلبات ، وتستنزف ماله بكثرة الإغراق بالكماليات ، بل ربما عوّقته وخذّلته عن بره بوالديه وأعانته على القطيعة والعقوق .

١٠- **التقصير في حق الإخوان** فالإخوان لهم حقوق كثيرة يحسن بالمرء مراعاتها والقيام بها ، ويقبح به التفريط فيها والتهاون في أدائها . ومع ذلك فكثير من الناس لا يبالي بتلك الحقوق ، ولا يبالي في التقصير بها ، فمن الناس من لا يتعهد إخوانه ، ولا يسأل عن أحوالهم ، ولا يحرص على زيارتهم وصلتهم . ومن الناس من لا يعرف إخوانه إلاّ في الرخاء وفي حال اليسار ، فإذا وقع أحد إخوانه في شدة أو ضائقة ، واحتاج لمعروفه ومساعدته تنكر له ، وخذله ونسي ما كان بينهما من مودة ، ومن الناس من إذا نال عرضًا من أعراض الدنيا ؛ كمال ، أو جاه ، أو منصب ، إلا ويتنكر لأصحابه القدامى ، وينساهم أو يتناساهم ، وما هذا من أخلاق الكرام .

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن

أسباب سوء الخلق

سوء الخلق كغيره من الأدواء ، فله أسباب تجلبه ، وبواعث تحركه ، فمن ذلك ما يلي :

١- **ضعف الإيمان** ذلك أن الإيمان جماع كل خير ، فإذا ما ضعف أو فقد ، فإن صاحبه لن يبالي بالمكرمات ، ولن يأنف من النزول في حضيض الدركات .

٢- **طبيعة الإنسان** فهناك من الناس من جُبل على سوء الخلق ، فتغلب عليه هذه الطبيعة وتؤثر فيه ، وتوجهه إلى مساوئ الأخلاق ، وتصرفه عن محاسنها .

٣- **سوء التربية** فالتربية لها دور عظيم في توجيه الأولاد سلبًا أو إيجابًا ، فإذا تربى الولد على مساوئ الأخلاق ، وتربى على الميوعة والترف ، نشأ ساقط الهمة ، قليل المروءة ، فهذه التربية تقضي على شجاعته ، وتقتل استقامته ومروءته .

٤- **الغضب** فهو يحمل على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه .

٥- **الجهل** فالجهل يورد صاحبه المهالك ، وينزع به إلى الشرور والبلايا ، والجاهل عدو نفسه ، يسعى في دمارها من حيث لا يشعر .

٦- **الشهرة وبعد الصيت** فهناك من إذا ذاعت شهرته ، وبَعُدَ صيته إما بسبب علمه أو ماله ، أو نحو ذلك ، تغيّرت أحواله ، وتبدلت أخلاقه وطباعه ، فازدرى من حوله ، وتنكر لمن كان معه في بداية الطريق .

وكذا اللئيم إذا أصاب كرامة
عادى الصديق ومال بالإخوان

٧- **الغفلة عن عيوب النفس** فكثيرًا ما نغفل عن عيوب أنفسنا ، ونتعامى عن معايبنا ونقائصنا ، وقليلا ما نتفقد أحوالنا ، وننظر في مواطن الخلل فينا .

٨- **اليأس من إصلاح النفس** فهناك من يعرف من نفسه سوء الخلق ، فيحاول مرة إثر أخرى لإصلاح نفسه ، فإذا ما رأى منها نفورًا أو جماحًا أيس من إصلاحها وترك مجاهدتها .

٩- **مصاحبة الاشرار** فللصحبة أبلغ الأثر في سلوك المرء ، فالصاحب ساحب ، فمن جالس الأشرار وعاشرهم ، فلا بد أن يتأثر بهم ، ويقبس من أخلاقهم ، فمجالستهم تنساق بصاحبها إلى الحضيض ، فكلما همَّ بالنهوض والتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها عوَّقوه وثنوه ، فعاد إلى غيه ، واستمر على جهله وسفهه .

١٠- **قلة الحياء** ذلك أن الحياء خصلة حميدة ، تبعث على فعل الجميل ، وترك القبيح ، فإذا قلَّ حياء المرء لم يعد يبالي بسفول قدره ، وسوء خلقه ، ولم يجد ما يبعثه للنهوض إلى اكتساب الفضائل ، ولا يرفعه مما هو مستغرق فيه من الرذائل .

يعيش المرءُ ما استحيا بخير
ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ
إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاءُ

علاج سوء الخلق

لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغير الأخلاق التي طبعت عليها النفس ، إلا أن ذلك ليس متعذرًا ولا مستحيلاً ، بل إن هناك أسبابًا عديدة ووسائل متنوعة يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق ، ومن ذلك ما يلي :

١- **سلامة العقيدة** فشأن العقيدة عظيم ، وأمرها جلل ، فالسلوك - في الغالب - ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر ، وما يعتقده من معتقد ، وما يدين به

من دين ، والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد ، ثم إن العقيدة هي الإيمان ، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا ، فإذا صحّت العقيدة حسنت الأخلاق تبعًا لذلك .

٢- **الدعاء** فالدعاء باب عظيم ، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات ، وانهالت عليه البركات ، فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق ، ورغب بالتخلي عن مساوئ الأخلاق ، فليلجأ إلى ربه ، وليرفع إليه أكف الضراعة ليرزقه حسن الخلق ، ويصرفه عن سيئه ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة إلى ربه ، يسأله أن يرزقه حسن الخلق ، وكان يقول : « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت » .

٣- **النظر في عواقب سوء الخلق** وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم ، والهم الملازم ، والحسرة والندامة ، والبغض في قلوب الخلق ، فذلك يدعو المرء إلى أن يقصر عن مساوئ الأخلاق وينبعث محاسنها .

٤- **علو الهمة** فعلو الهمة يستلزم الجد والإباء ، ونشدان المعالي ، وطلب الكمال ، والترفع عن الدنايا والصغائر ، ومحقرات الأمور ، والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب ، وتزجره عن مواقف الذل ، واكتساب الرذائل ، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد .

٥- **الصبر** فالصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن ، فالصبر يحمل على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم ، والأناة ، والرفعة ، وترك الطيش والعجلة .

٦- **الإعراض عن الجاهلين** فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه ، وأراح نفسه ، وسلم من سماع ما يؤذيه .

٧- **الترفع عن السباب** فذلك من شرف النفس ، وعلوّ الهمة ، فقد قال الشافعي :

إذا سبني نذلٌ تزايدتُ رفعةً
وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزةً
لمكنتها من كل نذل تحاربه

٨- **الاستهانة بالمسيء** وذلك ضرب من ضروب الأنفة والعزة ، ومن مستحسن الكبر والإعجاب ، ومن ذلك أن رجلاً أكثر من سب الأحنف وهو لا يجيبه ، فقال - يعني السابّ - : والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه ، ومثل ذلك قول بعض الزعماء :

أو كلما طنّ الذبابُ طردته
إن الذبابَ إذا عليَّ كريم

٩- **تجنب الغضب** لأن الغضب جمرة تتقد في القلب ، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشفي ، فإذا ما ضبط الإنسان نفسه عند الغضب ، وكبح جماحها عند اشتداد ثورته ، فإنه يحفظ على نفسه عزتها وكرامتها ، وينأى بها عن ذلّ الاعتذار ومغبة الندم ، ومذمة الانتقام .

١٠- **مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة** فهذا الأمر من أعظم ما يربي على مكارم الأخلاق ، وعلى رسوخها في النفس ، فالمرء مولع بمحاكاة من حوله ، شديد التأثر بمن يصاحبه ، والصداقة الشريفة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخها في النفس وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين ، فهي توجد من الجبان شجاعة ، ومن البخل سخاء ، فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر ، ليحمي صديقه من نكبة ، والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله لإنقاذ صديقه من شدة ، فإذا ما وفق المرء بصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة ، فإن ذلك من علامات توفيقه وهدايته ، فإذا كان الأمر كذلك فما أحرى بذي اللبّ أن يبحث عن إخوانه الثقات ، حتى يعينوه على كل خير ، ويقصروه عن كل شر .

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) تم كتابة هذا الموضوع من كتاب « سوء الخلق » للأخ / محمد بن إبراهيم الحمد باختصار وبتصرف . وقد قمنا بالحذف والإضافة حسب ما تمس إليه الحاجة .

نحو توثيق السيرة المباركة :

بقلم الشيخ / محمد عبد الحكيم القاضي

تكمن أهمية دراسة السيرة النبوية المباركة في تقديم صورة صادقة وأمينة عن حياة سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، وهذا الهدف ليس بالأمر السهل ؛ فمنذ بداية تدوين السيرة والعلماء يضعونه نُصب أعينهم ، فيتوقفون أمام المدوّنات والأخبار التي تصل إليهم ، وينظرون إليها بعين التمحيص والنقد ، إلا أن هذا المجهود لم يكن ليقف أمام تسرب عناصر إخبارية غير مرضيٍ عنها علمياً إلى كراسي الوعظ والقصص ، وهم الذين سموا باسم « القصّاص » ، وتحمّلوا تبعة ترويج البضاعة الإخبارية التي رفضت – علمياً – بين طبقات الناس المختلفة .

ومن ثم تحصّل محصول من الأخبار في السيرة والشمائل المحمدية تحتاج إلى إبراز الموقف الحديثي باعتباره الموقف النقدي المعتبر منها ، وهذا هو ما ستحاول هذه السطور بقديم نماذج منها ، تنبيهاً إلى أهمية توثيق السيرة المباركة والرجوع إلى المصادر الإخبارية والنقدية الموثوق بها حين دراستها .

قصة بحيرا الراهب :

من أشهر القصص في كتب السيرة والدلائل قصة اصطحاب أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام ، وتعرُّف الراهب (بحيرا) عليه ، ومعرفته نبوته ، وذكره ذلك لأبي طالب في طفولة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحذيره إياه من استمرار اصطحابه إياه إلى الشام خوفاً عليه من اليهود ، الأمر الذي حدا بأبي طالب أن يرجع بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، في قصة طويلة مختلفة في سياقها وتفاصيلها بين أصحاب السير :

١ – فقد ذكره ابن إسحاق في سيرته ، بدون إسناد .

٢ – ورواه أحمد بن حنبل والترمذي والخرائطي وغيرهم ، من حديث قراد – أبي نوح – وزاد فيه : أن أبا بكر كان معهم في هذا السفر ، وأنه لما رجع أبو طالب به إلى مكة بعث معه بلالاً .

٣ – ورواه معتمر بن سليمان والزهري بدون ذكر اسم الراهب ، وهذه الرواية اقتصر عليها المقريزي في « إمتاع الأسماع » .

وهذه الروايات أثارت مناقشة كبيرةً بين علماء النقد من المحدثّين :

– فقد استغرب هذا الحديث جماعة من المحدثّين ؛ منهم الإمام الترمذي ، فقد قال بعد سياقته : (هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه) . يقصد بذلك طريق قراد ، المشار إليه .

– وضعّفه جماعة ، واستنكروه جدًّا ، منهم الحافظ الذهبي ، الذي ذكره في « تاريخ الإسلام » تحت عنوان : (سفره مع عمه – إن صحّ) ، ثم قال : وهو حديث منكر جدًّا ، بل لقد تعقّب الحاكم في تصحيحه إياه بقوله : أظنه موضوعاً ، وكذلك الظاهر من صنيع الحافظ ابن كثير أنه يستغربه جدًّا .

– ومن النقاد من صحّحه بشواهده المختلفة ، ومنهم الحاكم في « المستدرك » ، والحافظ جلال الدين السيوطي في « الخصائص الكبرى » ، قال : (ولها شواهد عدة سأوردها تقضي بصحتها) . ومال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » إلى قبولها جملة ، وإنكار الزيادة التي تروي وجود أبي بكر وبلال . قال : (الحديث رجاله ثقات ، وليس فيه منكر إلا هذه اللفظة) . بل قد قطع في « الفتح » بقبوله ، قال : (إسناده قوي) .

إلا أن المدقق في روايات الخبر ، وفي صنيع هؤلاء المحدثّين والنقاد يلاحظ مجموعة من الملاحظات :

أولها أن الخبر قد جاء من طرق مختلفة ، وأوجه متباينة تؤكد أن له أصلاً صحيحاً :

أحداث ومواقف
في السيرة النبوية
بين القبول والرد

لا إله إلا الله محمد رسول الله

- فقد خرجه ابن سعد من طريق أبي المليح عن عبد اللّه بن محمد بن عقيل - مرسلاً .

- وابن عساكر من طريق محمد بن سعد بإسناده إلى أبي مجلز .

- والواقدي بإسناده إلى داود بن الحصين .

- والطبري بإسناده عن هشام بن محمد ، مرسلاً ، أو مُعْضلاً .

- وعبد الرزاق من حديث الزهري ، مرسلاً .

- وابن عائذ من حديث الوليد بن مسلم عن سليمان بن موسى ، مرسلاً هكذا .

- وغيرهم من طرق أخرى ، أضربنا عنها اكتفاءً بما ذكرنا .

والملاحظة الثانية : أن العلماء لا يختلفون في تقوية أمر الحديث الضعيف إذا جاء من طرق متعدِّدة ، أو كانت له شواهد أخرى ، كما هو مشهور في مصطلح الحديث .

والملاحظة الثالثة : أنَّ الحديث المرسل مقبول عند مالك والحنابلة ، وقد قبله الشافعي إذا جاء من طريقين مرسلين كلاهما مشتهر بأخذ الحديث عن غير الذي يأخذ عنه الآخر ، وهذا هو حال مرسلات هذه القصة .

أما الرابعة فهي : أن النكارة إنما جاءت لهذا الحديث من قبيل الزيادة التي زادها قراد أبو نوح ، وهي ذكر أبي بكر وبلال في الحديث ، مع أن عمر أبي بكر في هذا الوقت لم يكن يزيد على عشر سنوات ، وأنه لم يكن قد اشترى بلالاً بعد ، وهي زيادة منكرة حقًّا ، إلاّ أنها تدلّ على خطأ قراد - راوي الحديث - أو يونس بن أبي إسحاق ، الذي رواه قراد عنه ، لكنها لا تقدح في أصل الحديث الذي رواه جماعة كثيرة من الرواة .

من هنا نميل إلى صحة الرواية وقبولها ، على النحو الذي رواه أبو نعيم في ((دلائل النبوة)) من حديث علي ، وهي أخصر الروايات ، وقد ذكرها السيوطي في ((الخصائص)) ، ولم أجدها في نسختي من ((دلائل النبوة)) لأبي نعيم .

خيانة استشراقية :

فإذا ما قارنا هذا الجو العلمي ، الذي أشاعه البحث في خبر (بحيرا) الراهب ، بالنظرة الاستشراقية لهذا الخبر ، فسنشعر بغير قليل من رائحة التدني المنهجي والزيف العلمي ؛ فتحت اسم (بحيرا) من دائرة المعارف الإسلامية ، كتب المستشرق (فنسنك) بحثًا لخص فيه القصة ، ثم قال : (وهذه القصص قسم خاص من الأساطير التي أحاطت بسيرة النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم ، ولها نظائر كثيرة من نفس النوع ، وكلها ترمي إلى أنّ أهل الكتاب عرفوا من كتبهم من قبلْ بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم) .

وهذا الصنيع من (فنسنك) يحاول أن يسجِّل حكمًا عامًّا على كل الأخبار التي تواترت بتعرّف الأحبار والرهبان والكهان على النبي صلوات اللّه عليه قبل مولده ، وقبل مبعثه ، وبعد مبعثه . وهو صنيع يضرب ببديهات المنهج العلمي عرض الحائط ، إذ لا يدخل في غمار البحث المنهجي حول رواية القصة ونقلتها ، والدراسات التي صيغت حولها ، وإنما يبادر إلى القول الفج غير المعلل بأنها أسطورة ، ويُلْحق هذا اللهاث الجريء

بلهاثٍ آخر يُنهي فيه القضية من أساسها ؛ فيرى أن (نظائرها) من نفس هذا النوع الأسطوري ! ومن هنا يُقوض – بأمنيته – مبدأ أن أهل الكتاب قد تعرّفوا على بعثة محمد صلى اللّه عليه وسلم من خلال كتبهم ، على الرغم من أنه مبدأ موجود في القرآن الكريم أصلاً وليس مستقى من هذه القصص ، وإن كانت هذه القصص تعد تأكيدًا وتطبيقًا لهذا المبدأ القرآني .

أمّا أنّ المجال مجال مناقشة هذه النتيجة فلا ، وإنما المراد هو إطْلاع القارئ على صورة البحث العلمي عند المسلمين ، وصورة هذا البحث العلمي عند رءوس الاستشراق وطريقتهم في الاستنتاج ، ولكنّ مضرب المثل في الوقاحة الدراسية – إن صح التعبير – هو ما اكتشفه (فنسنك) حول شخصية (بحيرا) ، والذي حرص على ذكره ، وهو أنّ الروايات الإسلامية حول شخصية (بحيرا) قد جمعت كلها بالتفصيل في (سفر بحيرا) لكاتب مسيحي في حوالي القرن الحادي عشر أو الثاني عشر ، يدعى (إشوعَيب) ، وقد ورد في الكتاب كيف لقن سرجيوس (وهو الاسم الحقيقي لبحيرا) ، محمدًا صلى اللّه عليه وسلم عقيدته وشرائعه وأجزاء من القرآن ، وذلك بقصد أن يجعل العرب يعترفون بإله واحد .

ولم يعلّق الأستاذ العالم المنهجي (فنسنك) بحرف واحد يدل على القيمة التاريخية لهذه المقولة ، وكأن الروايات إذا أريد بها إظهار معرفة أحبار أهل الكتاب برسول اللّه صلوات اللّه عليه قبل مبعثه فهي أساطير كلها ، وإذا أريد بواحدة منها أن : (محمدًا نبي كاذب كان يتلقى وحيه من راهب ملحد) . فهنا لا تعليق . وهذا هو نتاج المنهج العلمي والأمانة العلمية عند المستشرقين .

أول الخلق :

إلا أنّ قصة (بحيرا) لم تُسجّل في الضمير الشعبي للأمة مثلما سُجّلت مجموعة من التصوّرات والمواقف حول النبي المبارك الكريم ، وهذه التصورات والمواقف محتاجة إلى عرضها على ميزان النقد العلمي الذي رأيناه آنفًا عند المسلمين ؛ فكثير من المآذن في (مصر) مثلاً تردّد – بعد الأذان – الصلاة على (أوّل خلق اللّه) ، ومع ذلك لم يتبادر إلى ذهن أحد من المصلين أن المقصود هنا هو (آدم) ، عليه السلام ، وإنما المستقر في ضميرهم جميعًا ، سواء أقرّه بعضهم أو رفضه البعض الآخر ، هو أن أول خلق اللّه هو محمد صلى اللّه عليه وسلم ، وقد تضافرت على صُنع هذا التصور مجموعة من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، مثل :

– « كنتُ أوّلَ الناس في الخلْق وآخرهم في البعث » .

– « كنتُ أوّلَ النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » .

وهذه الأحاديث وما في معناها ليس ممّا يُتوقف عنده ، لوهاء أسانيدها .

فقد رواه أبو نعيم في « دلائل النبوة » ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، وتمام في « فوائده » .

كل هؤلاء من طرق عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا .

وهذا إسناد ضعيف ، فيه شذوذ يزيده ضعفًا ، وسبب الضعف هو سعيد بن بشير ؛ ضعّفه ابن معين والبخاري والنسائي ، وحسبك بهؤلاء ، وضعّفه غيرهم ؛ قال ابن حبان في « المجروحين » : (وكان رديء الحفظ ، فاحش الخطأ ، يروي عن قتادة ما لا يُتابع عليه) .

قُلتُ : وهذا الحديث من طامّاته وغرائبه ، فقد أورده الذهبي في « الميزان » مثالاً على غرائبه .

والذي يدل على شذوذ هذا الإسناد أنّ غير سعيد بن بشير قد رواه عن قتادة مرسلاً ، ومنهم من رواه عنه موقوفًا .

فهذا اضطراب في الإسناد إلى جانب ضعف سعيد ، فإن صحّ المرسل كان ضعيفًا لإرساله ، ولأنه مخالف للفظ أصحّ منه ، وهو الحديث الذي رواه أحمد في « السنة » والطبراني في « المعجم الكبير » عن ميسرة الفجر ، رضي الله عنه ، قال : (كنتُ نبيًا وآدمُ بين الرُّوح والجَسد) .

وذكره الحافظ ابن حجر في « الإصابة » في ترجمة ميسرة الفجر ، قال : (وهذا سند قوي) .

ثم ذكر إسناد الإمام أحمد وقال : (وسنده صحيح) .

قلتُ : وهذا اللفظ هو الذي رواه الأئمة ، وصحّحه من صحّحه منهم ، مثل ابن حبان والحاكم ، ورواه الترمذي عن أبي هريرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : متى كُتبتَ نبيًّا ؟ قال : « كُنتُ نبيًّا وآدمُ بين الروح والجسد » .

واللفظ هنا يدل على أن النبي صلوات الله عليه كُتبتْ نبوّته قبل خلق آدم ، لا أنّه خُلقَ قبل آدم ، وهو من شريف قضاء الله الذي قضاه في الأزل ، فوقع سوء الفهم من الناس ، ثم حمّلوا قتادة ، رحمه الله ، جريرة سوء فهمه ، أو هو ، رحمه الله ، احتملها ، ومن ثمة قال الشيخ الألباني بعد تضعيفه للحديث الأول ، وذكره لهذا اللفظ : (وسنده صحيح ، لكن لا دلالة فيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم أول خلق الله تعالى - خلافًا لما يظن البعض - وهذا ظاهر بأدنى تأمل) .

هذا ولا بد من الإشارة إلى وهم وقع فيه بعض جامعي الحديث أوقعهم فيه عدم الدُّربة الكافية في نقد الأسانيد أو التعجل في الحكم أو التقليد ، فقد قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ، وتابعه العجلوني في « كشف الخفا » عن الحديث الأول :

وله شاهد من حديث الفجر .

وقال الشوكاني ، بعد أن ذكره في « الفوائد المجموعة » : وله شاهد صحّحه الحاكم بلفظ : كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد .

وهذا من الوهم ؛ لأن هذا اللفظ لا يصلح شاهدًا للفظ الأول ، فالأول يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أوّلُ الناس في الخلق ، وهذا اللفظ معناه أن الله تعالى قضى نبوته قبل خلق آدم ، وشتان بين المعنيين ! فليس تشابه الحروف المتراصّة دليلاً على تشابه المعاني ، ومن هنا أرى أن تضعيف لفظ هذا الحديث - الذي نحن بصدده - فيه قدر من التسامح ، وقد حكم جماعة من العلماء بأنه موضوع ، منهم الصغاني ، وابن تيمية ، وتابعهما الشيخ التليدي في مقدمته لكتابه « تهذيب الخصائص الكبرى » .

وعمومًا فمنزلة النبي صلوات الله عليه ، ومكانته عند ربّه ، سبحانه وتعالى ، أعلى من أن تحتاج إلى الأحاديث الواهية لإثباتها أو تأكيدها ، وقد صحّت الأحاديث الصريحة بأنه سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأنه له المقام المحمود - وهو الشفاعة العظمى التي لا يتعرض لها من الأنبياء أحد إلا هو - وأنه أول من يفتح باب الجنة ، وأنه أكثر الأنبياء تبيعًا يوم القيامة ، وأنه أوتي من الفضل في الدنيا ما لم يُؤته نبي قبله ، وأنه صاحب الشريعة الحاكمة المهيمنة على الشرائع السابقة ، والمبطلة للتشريعات اللاحقة ، إلى ما لا يحصى من الفضائل الصحيحة ، والمناقب الواضحة الصريحة ، التي لا مزيد بعدها بأحاديث ساقطة ، فيها غلو في قدره صلى الله عليه وسلم بما لا يحتاج قدره إليه ، وهو صلى الله عليه وسلم القائل : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » .

والإطراء : الزيادة في المدح ، والغلوّ في الوصف .

* * *

من روائع الماضي

الحب الصادق

الشيخ / عبد الحميد محمد عرنسة (رحمه الله)

تميل النفس إلى كل شيء يلائمها، وتنفر من كل شيء غير ملائم، فهذا الميل يسمى محبة، والنفور يسمى كراهة، وتختلف درجات المحبة والكراهة باختلاف أسبابهما.

وأعظم شيء تهواه النفس هو أن تستمتع بحياة ناعمة دائمة ولا يملك لها ذلك إلا اللَّه جل شأنه، بحكم أنه الحي الذي لا يموت، والقيوم الذي بأمره قام كل شيء، فمن أجل هذا كان من الواجب ترضيه لتنال عنده هذه الحظوة وأن تكون رحمته ورضاه والنظر إليه هي الغاية التي يقصدها والأمنية التي تطلبها، ولا يتم ذلك إلا بطاعة الرسول الذي بلغها رسالته وعرفها الطريق إلى جنته الباقية، هذا هو عنوان المحبة الصادقة، قال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ﴾ [آل عمران : ٣١]، وتأويل الآية: إن كنتم تحبون اللَّه والوصول إلى رحمته ونعيمه الخالد فاتبعوا رسوله محمدًا ولا تشذوا عن طريقته يمنة ولا يسرة، فاليمين مضلة، واليسار مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة، قضى اللَّه أن لا تنال رحمته إلا بالاتباع وترك الابتداع: ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

حق اللَّه على كل مؤمن أن يحبه محبة لا تساويها محبة، وأن يحب رسوله فوق محبته لنفسه، وما تصنع النفس الإنسانية إذا لم يكن رسول يبلغها الطريق إلى ما تطلبه وتبغيه من السعادة الدائمة، ولم تكن أهلاً لحمل أعباء الرسالة، يجب أن يكون الرسول من المؤمنين بمنزلة الرأس من الجسد، يوجهه فينقاد إلى توجيهاته ويرشده فيتبع إرشاداته، كما يجب أن لا يرفعه فوق المنزلة التي أنزله اللَّه عز وجل، فما هو إلا عبد اللَّه ورسوله، ليس هو نور عرش اللَّه كما يقول المبطلون، فإن عرش اللَّه أعظم من أن ينيره مخلوق، كائنًا من كان، وكفى بمن استوى عليه نورًا ينوره، وينور العالم كله: ﴿ اللَّه نور السماوات والأرض ﴾ [النور : ٣٥]، وليس

الوحي منه وإليه كما يزعمون ، ولكن وجده ضالاً فهداه : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ [الشورى : ٥٢] .

علينا أن نحب عباد الله الصالحين جميعًا ، وليس لنا أن نغلو فيهم أو في واحد منهم ، فنقول قد صار عبدًا ربانيًا يقول للشيء كن فيكون ، فذلك قول خاطئ كاذب ، قول أصحاب الحلول ، أو نقول : إن الله قد وكل إليه أمر العباد فهو يصرفه كما يشاء ، لا يرد قوله ولا ترفض شفاعته ، إن ذلك قول على الله بغير علم : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ﴾ [المؤمنون : ٧١] ، نحن نحب الصالحين ؛ لأنهم أطاعوا الله وأرضوه ، فأحبهم ورضي عنهم ، وكما أحبهم فنحن نحبهم لحب الله لهم ، ولا نسويهم به : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبًا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، يرى المشرك أن نجاته دائرة بين الله وبين شريكه على السواء ، فلله الخلق وللشريك الشفاعة التي لا ترد ، فهو لذلك يحبهما حبًا على السواء .

أما المؤمن الموحد فليس كذلك يعلم يقينًا أن نجاته ونجاة الخلق جميعًا لا يملكها أحد غير الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، لا مبدل لقوله ولا معقب لحكمه ، وأن الشفاعة لله جميعًا ، فهو لذلك يحب ربه محبة لا تساويها محبة ، وذلك قوله : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًا لله ﴾ .

المحبة في قلب الموحد ذات أصل واحد ، وعن هذا الأصل تتفرع فروع المحبة ، ولكل فرع مقدار مناسب في قلبه ، أما المحبة في قلب المشرك فذات أصول متعددة وفروع مختلفة ، فمن أجل ذلك لا ترى المؤمن يعبد إلا إلهًا واحدًا ، وهو ذلك الذي آمن به ربًا قادرًا ، له القدرة جميعًا ، عزيزًا له العزة جميعًا ، إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ، وترى المشرك تارة ماثلاً بين يدي الله يعبده ويدعوه ، وتارة ماثلاً بين يدي مخلوق يستغيثه ويرجوه ، ومرة يحلف بربه ، ومرة أخرى يحلف بغيره ، ومرة يطوف ببيت ربه ، ومرة يطوف بقبر وليه ، كما سوى بينه وبين غيره في المحبة ، سوى بينهما في العبادة ، وذلك أثر الغلو في المحبة الذي حذر الرسول قومه ، فقال : « إياكم والغلو ، فإنه أهلك الذين قبلكم » ، حذرهم الغلو وأنبأهم بأنه سيكون ، فقال : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » ، قالوا : اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : « فمن ؟ » .

في شهر ربيع الأول من كل سنة يحتفل الناس بمولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويظنون أن نصب السرادقات وقراءة قصة المولد على ما فيها من دجل ومبالغات وتوزيع الحلوى على الحاضرين المستمعين بعد الفراغ منها يدل على محبة الرسول ، وهذا خطأ فما كان السلف يعرفون شيئًا من هذا .

نعم إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة على كل مؤمن ، ولا يتم إيمانك حتى يكون الرسول أحب إليك من أبيك وولدك والناس أجمعين ، بل ويكون أحب إليك من نفسك : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ [الأحزاب : ٦] ، وقد بينا لك آنفًا ، ولكن قليل من الناس من يفقه معنى المحبة ، إنها اتباع من تحب والاقتداء به والتخلق بخلقه ، وقد سئلت عائشة ، رضي الله عنها ، عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : كان خلقه القرآن ، ومعنى ذلك أنه كان يحل حلاله ويحرم حرامه ويقيم حدوده .

كان متواضعًا لله ، يجلس جلسة العبد ، ويأكل على الأرض ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع ثوبه ،

ويركب الحمار العاري ، ويردف خلفه ، وجاء قوم فمدحوه ، فقال : « لا أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل ، إنما أنا عبد الله ورسوله » ، وكان يكره القيام له ، ويقول : « من سره أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ، فكن متواضعاً لله مثله يا من يدعي حبه ، واعلم أن من تواضع لله رفعه .

وفي « الصحيحين » عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ، نهى عن الإطراء وهو المبالغة في المدح ، حتى لا نقع في مثل ما وقع فيه النصارى غلو في المسيح ، قالوا : إنه ابن الله ، وما هو إلا عبد الله ورسوله : ﴿ ما المسيحُ ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ وأمُّه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام ﴾ [المائدة : ٧٥] ، فهل امتثلت أمته من بعده هذا الأمر ولم يغلو فيه ؟!

رأينا في هذه الأيام طوائف ينتمون إلى دين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد لبسوه لبس الفرو مقلوباً يزعمون أن الحقيقة المحمدية نور يمثل حقيقة الذات العلية ، أو أنه لولاه ما كانت سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ، وأنه أوتي العلم كله ، فيقول قائلهم وهو البوصيري :

فإنه من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

ويرى أنه يجب أن يلوذ به كل مكروب بحكم أنه الذي يلاذ به في أشد الأوقات ، وذلك يوم القيامة ، يوم يفزع الناس إلى نبي يشفع لهم فيتقدم هو للشفاعة ، فيَشْفَعُ ويُشَفَّعُ .

ويقول البوصيري أيضاً :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العَمَم

وسبحان الله ، أن يخرج من ذاته العلية شيء يكون له هذه الصفات فيعلم علمه أو يتقدم للشفاعة بغير إذنه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، هو وحده عالم الغيب والشهادة ، وهو وحده الذي له الشفاعة جميعاً ، وهو وحده الذي يلاذ به في كل حادث يحدث ، ولولا موعدة وعدها الله رسوله ما تقدم للشفاعة خطوة واحدة ، وتلك هي قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

﴿ نافلة ﴾ : فريضة زائدة ، ﴿ عسى ﴾ : إطماع من كريم ، ﴿ مقاماً محموداً ﴾ : الشفاعة الكبرى يوم القيامة ، كما جاء مبيناً في السنة ، فقل لي بربك : من هو أولى وأحق بالحمد ومن هو أجدر باللواذ ومن يرجع إليه الفضل ؟ الباعث أم المبعوث ؟ أجب ، ثم صلِّ على محمد . واتل عليهم قول ربهم : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيعٍ يُطاع ﴾ [غافر : ١٨] ، ما الرسول إلا بشر مثلنا ، خلق من المادة التي خُلقنا منها ؛ حملته أمه كما تحمل سائر الأجنة ، ووضعته وما زال ينمو حتى تكامل خلقه ، يمرض تارة ويصح أخرى ، ويأمن ويخاف ، ويجوع ويشبع ، ويفرح ويحزن ، ويؤذى ويضطهد ، فيستعين بربه وينصره على عدوه ، ولو شاء الله لأحياه في هذه الدار حياة بعيدة عن الأسقام والآلام حياة صافية خالية من جميع المنغصات والأكدار ، ولكن فعل به ذلك لئلا تفتتن به أمته ، ولتعلم أنه بشر مثلنا ليس له من الأمر شيء ، ولتقوم الحجة على هؤلاء الذين غلو فيه ورفعوه فوق منزلته .

فيا من يدعي حب الرسول ؛ لا تغل فيه ، فقد كان يكره الغلو ويمقت أهله ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على الصلاة ، وكان يكون في مهنة أهله ، فإذا نودي بالصلاة قام إليها ، فهل أنت كذلك ؟ وكان ينهى عن القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ، وكان أعدل الناس وأنفعهم للناس ، فهل أنت ممتثل أمره محتذ حذوه ؟

والخلاصة ؛ أن دعوة المحبة إذا لم يكن معها متابعة فإنها تعلن عن نفسها بأنها دعوة كاذبة : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .

أين أنت من الشريعة ؟

المرء يأبى أن يكون مُهادنًا   للظلم يومًا أو يكون معاونا
إن كان من شيماته حُبُّ الوفاء   ولم يدنسها ولم يك ماجنا
فالعدل في كل الأمور يزينها   والظلم في كل الأمور يضيرها
والعدل يُحيي في الصدور حنينها   والظلم باقٍ في الصدور يثيرها
فاعدل - هداك اللَّه - في أحكامك   وانظر بعين العدل في إسلامك
هل أنت حقًا مسلمٌ متعبدٌ   أم أنت تكذب في الحديث لقومك
أمطبق التوحيد أنت وموقنٌ   باللَّه ربًا واحدًا متفردا
أوَ مؤمنٌ بكلامه المتنزل   من عنده وتخذت أحمد مرشدا
فاعلم بأن كلام رب العالمين   مقدمٌ دومًا على أقوالك
واسمع كلام الحق ولتعمل به   وانزع بُذور الشرك مِن أفعالك
توحيد رب العالمين مقدمٌ   عن كل أمرٍ في الشريعة كلها
فاحذر وقوعك في بحار الشرك يو   مًا إنَّه ينفي جميع أصولها
وارجع لنفسك في الخفاء وقل لها   إن المنية قد تباغتني غدا
وانصح لها قبل الرحيل من الدنا   إن النصيحة قد ترد من اعتدى
آن الرجوع إلى الأصول الثابتة   آن الرجوع إلى الأصول النيرة
آن الرجوع إلى الحياة الهانئة   في ظل آثار القرون الخيرة

مجدي محمد الصاوي
كفر الشيخ - مركز الحامول

وسائل وقاية الإنسان من الذنوب والآثام

بقلم / عصام عبد ربه مشاحيت

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

لا يخفى على كل ذي لب خطورة المعصية ، فقد ذكر الإمام أحمد في « مسنده » من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده » ، فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم يومئذ أناس صالحون ؟ قال : « بلى » . قلت : فكيف يُصنع بأولئك ؟ قال : « يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » ، ومما ينبغي أن يعلم ما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية من كتابه القيم « الداء والدواء » ، حيث قال : إن الذنوب والمعاصي تضر ، ولا بد أن ضرر ما في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر ، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ؟ اهـ . [« الداء والدواء » : ٤٦] .

حقًّا لا يوجد في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ، وتصفّح أيها القارئ الكريم كتاب الله عز وجل واقرأ وتدبر ما حدث للأمم السابقة بسبب الذنوب والآثام .

❁ فبسببها خرج آدم وحواء من الجنة ، قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فأزلهما

الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ﴾ [البقرة : ٣٥ ، ٣٦] .

❁ وبسببها طرد اللّه إبليس ولعنه وبدله بالجنة نارًا تلظى ، قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] .

قال ابن كثير في ((تفسيره)) : وهكذا لما أمر اللّه له الملائكة بالسجود فدخل إبليس في خطابهم ، وكان قبل المعصية عبدًا صالحًا يتعبد مع الملائكة ، فلما أمر اللّه بالسجود لآدم فسجد الملائكة طاعة للّه ، إلا إبليس أبى واستكبر عدو اللّه أن يسجد لآدم عليه السلام حسدًا منه على ما أعطاه اللّه من الكرامة ، وقال : أنا ناري وهذا طيني ، وكانت المعصية ابتداء ذنوبه وسببها الكبر ، وقد ثبت في ((الصحيح)) : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال حبة من خردل من كبر)) .

وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة ، وكان من الكافرين بسبب امتناعه ، أي صار من الكافرين . اهـ . [((تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير)) : ٤٢/١] .

❁ وبسببها أغرق اللّه أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال ، قال تعالى : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون اللّه أنصارًا ﴾ [نوح : ٢٥] .

قال ابن كثير في ((تفسيره)) : أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم أغرقوا فادخلوا نارًا أي ؛ نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ، فلم يجدوا لهم من دون اللّه أنصارًا أي ؛ لم يكن لهم مجير من عذاب اللّه . اهـ . [((تيسير العلي القدير)) : ٤٣١/٤] .

وبسببها سلط اللّه الريح على قوم عاد حتى ماتوا عن آخرهم ، وأرسل الصيحة على قوم ثمود حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم ، قال تعالى : ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ❁ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ❁ وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية ❁ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ [الحاقة : ٤-٧] .

❁ وبسببها أرسل اللّه على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل ، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى ، قال تعالى : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ [الشعراء : ١٨٩] .

قال ابن كثير في ((تفسيره)) : قال قتادة : قال عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما : ان اللّه سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلهم منه شيء ، ثم إن اللّه تعالى أنشأ لهم سحابة فانطلق إليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها بردًا وراحة ، فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعًا

فاستظلوا تحتها، فأججت عليهم نارًا، وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم، قال ابن عباس: فذلك يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. اهـ. [«تيسير العلي القدير»: ٣٤٧/٣].

وبسببها أغرق الله فرعون وقومه في البحر، قال تعالى: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخاف دَرَكًا ولا تخشى ۝ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٧، ٧٨].

هذا هو الغرق الذي حاق بفرعون وقومه، فكما أنه تقدمهم فسلك بهم في البحر فأضلهم وأغرقهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، فبئس الورد المورود. اهـ. [«تيسير العلي القدير» بتصرف بسيط: ١٤٥/٣].

وبسببها خسف الله بقارون وداره وماله وأهله الأرض، قال تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئةٍ ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ [القصص: ٨١].

وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم، فاقرأ وتدبر أيها القارئ الكريم لتعلم خطورة المعصية، وحتى تقي نفسك من الوقوع في المعصية أذكرك ببعض من وسائل الوقاية التي ذكرها أهل العلم في كتبهم:

أولاً: تقوى الله عز وجل؛ فالتقوى أن يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخشى عقاب الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

ثانيًا: التوبة؛ وهي العلم بعظم الذنب والندم عليه والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال، قال تعالى: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

وغير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، فبادروا بالتوبة قبل أن يأتيكم هادم اللذات ، وتدبر أيها القارئ الكريم ما كتبه الإمام ابن القيم في كتابه القيم ((مدارج السالكين)) حيث قال : لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا ، فإن لم تف بطهرهم طهروا في نهر الجحيم يوم القيامة :

١- نهر التوبة النصوح .

٢- نهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها .

٣- نهر المصائب العظيمة المكفرة ، فإذا أراد اللّه بعبده خيرًا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة فورد القيامة طيبًا طاهرًا فلم يحتج إلى التطهير الرابع .

ثالثًا : الاستغفار ؛ قال تعالى : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ﴾ [نوح : ١٠] .

وقد رغب النبي صلى اللّه عليه وسلم في الاستغفار ، فقال : ((من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)) . [رواه الترمذي وابن حبان في ((صحيحه))] .

رابعًا : مجالسة الصالحين ؛ فالجليس له تأثير على جليسه سلبًا أو إيجابًا بحسب صلاحه وفساده ، لما ثبت عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال : ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة)) . [البخاري ومسلم من حديث أبي موسى ، واللفظ لمسلم] .

قال الإمام النووي رحمه اللّه في شرحه لـ ((صحيح مسلم)) : فيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب ، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة .

خامسًا : ذكر اللّه تعالى ؛ أخرج البخاري ومسلم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : ((من قال : سبحان اللّه وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه ، ولو كانت مثل زبد البحر)) .

وأضف إلى ذلك الإكثار من الأعمال الصالحة ؛ فرائض ونوافل ، هذا ما يسر اللّه لي جمعه ، وهو الهادي لأقوم طريق ، وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وكتبه

عصام عبد ربه مشاحيت

أنصار السنة المحمدية - فرع مديرية التحرير

باب التراجم

من أعلام الدعوة

جمع وترتيب

فتحي أمين عثمان

وكيل عام الجماعة

الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

العالم السلفي المصلح

١٢٩٨ - ١٣٦٢ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٥

● **اسمه**: محمد مصطفى المراغي.

● **مولده**: ولد عام ١٢٩٨ هـ، الموافق ١٨٨١ م في بلدة المراغة من أعمال مديرية جرجا آنذاك (محافظة سوهاج حاليًا).

● حفظ القرآن الكريم ثم حضر لتلقي العلوم بالأزهر، وذلك على كبار علمائه.

● حصل على العالمية سنة ١٩٠٤ م.

● عمل بالقضاء في السودان مثله مثل الشيخ محمد شاكر والد المحدث أحمد شاكر، الذي عمل قاضيًا بالسودان قبل أن يصبح وكيلاً للأزهر.

● تدرج في المناصب حتى صار رئيسًا للمحكمة الشرعية العليا عام ١٩٢٣ م.

● اختير شيخًا للأزهر عام ١٩٢٨ م، وما لبث أن استقال عام ١٩٢٩ م، غير أنه عاد إلى المشيخة مرة ثانية عام ١٩٣٥ م، وبقي بها حتى عام وفاته سنة ١٩٤٥ م، وقد تولى مشيخة الأزهر بعده الشيخ الإمام مصطفى عبد الرازق.

● **جهوده في الإصلاح**: لقد كان الشيخ المراغي من الموسومين بسعة الأفق، فلم يكن يكتفي بدراسة الكتب الشرعية فحسب، بل جعل يقبل على كل مصادر المعرفة، كما كان مولعًا بالإصلاح في كل مجال عمل فيه.

فنجد أنه في حقل القضاء يشكل لجنة لتنظيم لائحة الأحوال الشخصية وتكون برئاسته، وكان الهدف منها تحرير القضاء وعدم التقيد بمذهب أبي حنيفة وحده كما كان المتبع آنذاك.

● كما دفعته نزعته الإصلاحية إلى الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد وتوحيد المذاهب حتى تتوحد الأمة ، كما دعى إلى تكوين هيئة للبحث الديني تستهدف التضامن بين الهيئات التعليمية في العالم الإسلامي كله .

● ومن جهوده الإصلاحية البارزة في الأزهر أنه ألف لجانًا لدراسة قوانين الأزهر والعمل على إصلاحها ، كما شكل من كبار العلماء لجنة تتولى الإفتاء فيما يعرض عليها من أمور المسلمين .

كما غير في نظام هيئة كبار العلماء ، وأضاف شروطًا لاختيار أعضائها وأسماها (جماعة كبار العلماء) .

كان من أوجه الإصلاح التي أدخلها بالأزهر أن أنشأ مراقبة للبحوث والثقافة الإسلامية ، وذلك عام ١٩٤٥ م ، وهي آخر أعماله الخيرة ، وحدد لها أوجه نشاطها ، فجعلها تختص بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية والبحوث الإسلامية والدعاة .

● ومن مآثر الشيخ المراغي التي لا تنسى ما سنه من سنة حميدة في شهر رمضان من قيامه بإلقاء دروس في الجامع الأزهر الشريف كان يحضرها ملك البلاد يومئذ ومعه كبار رجال الدولة ، وكان الإمام المراغي من خلال هذه الدروس ينشر الإسلام وتعاليمه وشرائعه بين طائفة كبار رجال الدولة ، كما كان له أثر طيب في نشر الوعي الديني عندهم .

وقد رحبت جماعة أنصار السنة في ذلك الوقت بهذا العمل الديني المبارك ، وكان الرئيس العام للجماعة الشيخ محمد حامد الفقي يحضر هذه الدروس والمحاضرات ويكتب لها ملخصًا أو ينشرها كاملة في مجلة الهدي النبوي .

● كما كان من مآثر الشيخ المراغي أنه لم تكن تمر مناسبة دينية إلا ويلقي فيها خطابًا في الإذاعة أو محاضرة بالأزهر يحضرها أحيانًا ملك البلاد ولم تكن تمضي المناسبة دون أن يوجه فيها إرشادات وتوجيهات لما ينبغي أن يفعله ولاة الأمور لهذا البلد ولشعبه .

● وإذا قرأت هذه الدروس أو الكلمات ، وجدت فيها فطرة سليمة نقية طاهرة مع روح وثابة ، روضت نفسها على المعالي ، ومن بعض عباراته قوله في الهجرة : (من الحق أن نحتفل بالهجرة ، لكن من الحق أن نحتفل فيها على الطريقة التي ترضاها مبادئ دينك ، وتسير على ما رضيته من خلق قويم ، وتتبع طريقك في الإصلاح ، وطريقك في إقامة العدل وحب الحق ، وحب البر ، وليس يكفي أن تلقى الخطب وأن تنشد القصائد ، ثم لا تكون هناك عبرة وعظة ولا يكون هناك سعي للإصلاح) .

● كما كان من أبرز سمات الشيخ المراغي أنه كان مشاركًا في الأحداث التي تقع سواء على الصعيد المحلي أو الصعيد الدولي ، فقد كان له رأي في دخول مصر إلى ساحة الحرب العالمية الثانية ؛ وقد قال في معرض ذلك : (لقد كانت آمالنا معقودة على أن الله سبحانه سيلطف بعباده ، ويرفع عنهم غضبه ونقمته ، وينظر إليهم برحمته ، ويريحهم من ويلات الحرب وشرها وكربها وغمها ، ولكن العام لم ينقض إلا ونيران الحرب تندلع من الغرب إلى أقصى الشرق) .

ومما يدل على مكانة الشيخ المراغي في نفوس العلماء والعامة والخاصة والكافة ما ذكر من أنه تعرض لموضوع الحرب من على منبر الأزهر فقال : (هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل) .

● فلما عاتبه رئيس الوزراء على هذا القول ، رد عليه الشيخ المراغي بكل جرأة وشجاعة وقال له : كيف تكلم المراغي بهذه اللهجة ، أما تعرف أنه بإمكاني أن أصعد منبر الأزهر فألقي خطبة تصبح بعدها رجلاً من العامة .

● وكما كان الشيخ المراغي شجاعًا في الحق كان لا يرضى عن الظلم إذا وقع لأحد العلماء وخاصة المصلحين منهم ، فقد حدث أن الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في إحدى خطبه قال في حق الملك : (إنه ملك سفيه ، ينفق أموال

الناس فيما لا يعود عليهم بالخير) ، فكان أن عزله الملك عن الخطبة .

● وهنا يعرف الشيخ المراغي بذلك فيذهب إلى الملك ، ويقول له : (هذا الرجل محق ودعوته صحيحة ، وقد خانه التعبير فاعف عنه وأعده إلى المنبر) . وقد كان .

● والمرة الثانية التي ناصر فيها الشيخ المراغي الشيخ حامد الفقي ، رحمهما الله ، أنه عند نشر الشيخ حامد كتاب الإمام الدارمي في الرد على بشر المريسي ، وقد كتب له مقدمة آثار ذلك العمل حفيظة بعض العلماء ، فقام الشيخ عبد المجيد اللبان عضو كبار هيئة العلماء بالكتابة للهيئة المذكورة رفعت الأمر إلى الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر آنذاك ، فأصدر أمره في ١٤ من ذي القعدة سنة ١٣٥٨ هـ بتشكيل لجنة من أربعة علماء هم ؛ عيسى منون ، محمد عبد الفتاح العناني ، محمود أبو دقيقة ، إبراهيم الجبالي ، فقامت اللجنة بدراسة الموضوع وقدمت تقريرين ليسا في صالح الكتاب ولا مؤلفه ولا ناشره ، ولكن الشيخ مصطفى المراغي بعقلية المصلح السلفي ، أحال الكتاب مع التقريرين إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الذي انتهى في تقريره إلى القول : (لهذا أقترح على الجماعة الموقرة (جماعة كبار العلماء) أن تصرف النظر عن هذه المسألة ؛ لئلا تثير مشاكل لا فائدة للإسلام من إثارتها ، لا بالنسبة إلى الكتاب ولا بالنسبة إلى ناشر الكتاب) ، وقد قام الشيخ حامد بنشر الموضوع كاملاً في الهدي النبوي سنة ١٣٦١ هـ ونوه فيه بفضل هذين العالمين فقال : (أعلام الهدى ومصابيح الظلام في عصرنا الذين هم مرجع الأمة في فتاواها ، وهم محل الثقة التامة من أرفع رأس وأعلاها في هذه الأمة إلى أقل مؤمن فيها ، ولحامد الفقي القدوة فيهم) .

● ولا أنسى هنا في هذا المقام أن أذكر أنني سمعت الشيخ المراغي في أحد أحاديثه بإذاعة القرآن الكريم ، وكان حول قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ [الملك : ١٦] ، وقد تعرض في تفسير هذه الآية الكريمة إلى رأي السلف ورأي الخلف ، ثم قال : وأنا أميل إلى رأي السلف ، فدل بذلك على كراهته للتأويل .

● وإذا كان الشيخ المراغي والشيخ شلتوت قد كتبا في مجلة الهدي النبوي ، فإن لهما في الإذاعة اليد الطولى في بيان الحق ودحض البدع والترهات والأباطيل .

وإذا كنا لا ننسى صوت الشيخ شلتوت بما تميز به من نبرة حادة متميزة ، فإن الشيخ المراغي كان صاحب صوت عريض وفخيم جهوري رزين واثق مطمئن ، لا يخاف في الله لومة لائم .

● **من آثاره العلمية :**

١ - الأولياء والمحجورون ، نال بها عضوية هيئة كبار العلماء .

٢ - تفسير جزء تبارك .

٣ - بحث في وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم .

٤ - حديث رمضان (كتاب الهلال عدد ٣٧٩ لسنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢) .

٥ - تفسير سورة لقمان والعصر (طبعة مطبعة الأزهر ١٩٤٢) .

٦ - الدروس الدينية التي ألقاها في رمضان ١٣٥٦ هـ (طبعة مطبعة الأزهر ١٩٣٨) .

٧ - مباحث لغوية وبلاغية .

فجزى الله الإمام الأكبر مصطفى المراغي خير ما يجزي به المصلحين الصابرين .

* * *

في احتفال المركز الإسلامي لدعاة التوحيد والسنة بالعزيز بالله :

الوزراء يطالبون بتوجيه الجهود لخدمة الدين الإسلامي الصحيح

في احتفال مهيب أقيم يوم الأحد الماضي الموافق ١١/١/١٩٩٨ م في المركز الإسلامي بالعزيز بالله ، والذي أقيم بمناسبة افتتاح مركز الكلى في مستشفى العزيز بالله ، وافتتاح القسم النسائي ، وقد حضر الاحتفال الذي أقيم تحت رعاية الدكتور / زكريا عزمي (رئيس ديوان رئيس الجمهورية) وعضو مجلس الشعب عن دائرة الزيتون وراعي المركز .

وقد حضر الحفل وشارك في إلقاء الكلمات كوكبة من الوزراء وهم السيدة الدكتورة / ميرفت التلاوي (وزيرة الشئون الاجتماعية) ، والأستاذ الدكتور / إسماعيل سلام (وزير الصحة) ، والأستاذ الدكتور / حمدي زقزوق (وزير الأوقاف) ، والدكتور / عبد الرحيم شحاتة محافظ القاهرة ، والشيخ / محمد صفوت نور الدين (الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية) ، وأعضاء مجلس إدارة المركز الإسلامي بالعزيز بالله .

وقد قام السادة الوزراء بافتتاح مركز الكلى والقسم النسائي ، ثم بدأ الحفل في تمام الساعة التاسعة مساءً بكلمة السيد اللواء / أحمد عبد الوهاب رئيس مجلس إدارة المركز ، والذي قدم تعريفًا بالمركز وأنشطته ، ثم قدم عرضًا لبعض الآيات الكونية من خلال العلم الحديث ، ثم قدم الدكتور / زكريا عزمي (رئيس ديوان رئيس الجمهورية) شكره للسادة الوزراء لتلبيتهم دعوته لحضور الاحتفال .

وأكد على العلاقة الوثيقة التي تربطه بهذا المركز منذ عشرات السنين ، ومنذ شارك رئيسه الشيخ / جميل غازي - رحمه اللَّه - في بناء هذا المركز الذي يقوم على الدعوة إلى اللَّه الحكمة والموعظة الحسنة ، وقد عبر السادة الوزراء عن سعادتهم الغامرة لما وجدوه في هذا المركز ، وقد أكد الدكتور إسماعيل سلام (وزير الصحة) على أن الإسلام دين العطاء ، كما أشاد السيد الدكتور المحافظ بالجهود الكبيرة التي تبذل في هذا المركز ، وقد أعلن سيادته عن تبرعه بسيارة إسعاف مجهزة استجابة لمطلب الدكتور / زكريا عزمي ، كما تبرع الدكتور / حمدي زقزوق (وزير الأوقاف) بمبلغ خمسة آلاف جنيه ووعد السادة الوزراء بتلبية متطلبات المركز .

وفي نهاية الحفل تم تسليم الدروع لكبار الزوار المشاركين في الحفل .

جمال سعد حاتم

سواك مكة
متوفر بعدة نكهات منعشة
Sewak Makkah
Available in various refreshing flavours

سواك مكة

Sewak Makkah®

أجمل هدية
لأغلى الأحباب

متوفر بعدة نكهات منعشة

NATURAL FLAVOUR
بنكهة طبيعية
MINT FLAVOUR
بنكهة النعناع

متوفر بعدة نكهات منعشة

وكلاء التسويق في العالم مؤسسة يارا للتجارة والتسويق

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٢٣٢٧٣٣٦ (١-٠٠٩٦٦) - فاكس: ٢٣٠١٩٣٢ (١-٠٠٩٦٦) - ص. ب ٢٦٤٣٣ الرمز ١١٤٨٦

YARA MARKETING CORPORATION WORLDWIDE AGENTS

Tel.: (00966-1)2327336 Fax :(00966-1) 2301932 P.O. Box 26433, Code 11486 Riyadh Kingdom of Saudi Arabia

تصميم وكالة يارا العالمية
(966-3)8982200